حق الوطن

إشراف وتقديم

أ. د. محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

١٤٤٢هـ / ٢٠٢١ م

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة
د. هيثم الحاج علي

حق الوطن

إشراف وتقديم
د. محمد مختار جمعة

الطبعة الأولى
للهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢١.

ص.ب ٢٣٥ رمسيس
١١٥٩٤ كورنيش النيل ـ رملة بولاق القاهرة
الرمز البريدي : ١١٧٩٤
تليفون : ٢٥٧٧٧٥١٠٩ (٢٠٢) داخلي ١٤٩
فاكس: ٢٥٧٦٤٢٧٦ (٢٠٢)

الطباعة والتنفيذ
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة، بل تعبر عن رأي المؤلف وتوجهه في المقام الأول.

حقوق الطبع والنشر محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب.
يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن كتابي من الهيئة المصرية العامة للكتاب، أو بالإشارة إلى المصدر.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾

(هود: ٨٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمـة

الحمـد لله رب العالمـين، والصـلاة والسـلام عـلى خاتم أنبيائه ورسـله سـيدنا محمد بـن عبد الله، وعـلى آله وصحبه ومـن تبع هـداه إلى يـوم الدين.

وبعـــد:

فـإن العلاقـة بـين الديـن والدولـة ليسـت علاقـة عداء ولـن تكون، إنَّ تديُّنًا رشـيدًا صحيحًا واعيًا وسـطيًّا يُسـهم وبقـوة في بنـاء واسـتقرار دولة عصريـة ديمقراطيـة حديثة تقـوم على أسـس وطنية راسـخة وكاملة، وإن دولة رشـيدة لا يمكـن أن تصطـدم بالفطـرة الإنسـانية التـي تبحث عن الإيـمان الرشـيد الصحيح.

الديـن والدولـة لا يتناقضـان، الدين والدولة يرسـخان معًا أسـس المواطنـة المتكافئـة في الحقـوق والواجبات، وأن

نعمل معًا لخير بلدنا وخير الناس أجمعين، أن نحب الخير لغيرنا كما نحبه لأنفسنا، الأديان رحمة، الأديان سماحة، الأديان إنسانية، الأديان عطاء.

الدين والدولة يتطلبان منا جميعًا التكافل المجتمعي، وأن لا يكون بيننا جائع ولا محروم ولا عارٍ ولا مشرد ولا محتاج.

الدين والدولة يدفعان إلى العمل والإنتاج، والتميز والإتقان، ويطاردان البطالة والكسل، والإرهاب والإهمال، والفساد والإفساد، والتدمير والتخريب، وإثارة القلاقل والفتن، والعمالة والخيانة.

وإن من يتوهمون صراعًا لا يجب أن يكون بين الدين والدولة ويرونه صراعًا محتمًا، إما أنهم لا يفهمون الأديان فهمًا صحيحًا أو لا يعون مفهوم الدولة وعيًا تامًّا، أو لا يدركون طبيعة العلاقة بينهما، فالخلل لا علاقة له بالدين الصحيح ولا بالدولة الرشيدة، إنما ينشأ الخلل من سوء الفهم لطبيعة الدين أو لطبيعة الدولة أو لطبيعتهما معًا أو لطبيعة العلاقة بينهما.

ولا شك أن قضية الوعي بالوطن وبمشروعية الدولة الوطنية، وضرورة دعم صمودها، والعمل على رقيها وتقدمها، أحد أهم مرتكزات بناء الشخصية السوية، وأحد أهم دعائم الولاء والانتماء إلى الوطن والحفاظ على مكتسباته ومقدراته وكل ذرة من ثراه الندي.

وفي السياق والمناخ الفكري الصحي لا يحتاج الثابت الراسخ إلى دليل، لكن اختطاف بعض الجماعات المتطرفة للخطاب الديني ومحاولات احتكارها له ولتفسيراته جعل ما هو في حكم المسلمات محتاجًا إلى التدليل والتأصيل، وكأنه لم يكن أصلًا ثابتًا.

على أن مشروعية الدولة الوطنية أمر غير قابل للجدل أو التشكيك، بل هو أصل راسخ، فإن كل ما يدعم بناء الدولة وقوتها هو من صميم اعتقادنا الإيماني، وكل ما يؤدي إلى الفساد أو الإفساد أو التخريب أو زعزعة الانتماء الوطني إنما يتعارض مع كل القيم الدينية والثوابت الوطنية.

وبما أن الجماعات الإرهابية والمتطرفة تحاول أن تتخذ من التشكيك في هوية الدولة الوطنية وسيلةً لإسقاطها

ومحاولة لزعزعة الانتماء الوطني بين أبنائها، كان لزامًا علينا أن نؤكد مشروعية الدولة الوطنية، وبيان حق الوطن على أبنائه، فهو لهم جميعًا وبهم جميعًا، وقد قالوا: إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل وأصالة معدنه فانظر إلى مدى انتمائه إلى وطنه واعتزازه به، وقد قالوا: رجل فقير ضعيف في دولة قوية غنية خير من رجل غني في دولة ضعيفة فقيرة؛ لأن الأول له دولة تحمله وتحميه في الداخل والخارج، والآخر فاقد لمعنى الأمن والأمان، فكما أن الصحة تاج على رءوس الأصحاء؛ فإن الوطن تاج على رءوس الوطنيين الشرفاء، ونظرًا لتأثير الشعر في النفوس، وتزكية الحس الإنساني، وإلهاب المشاعر الوطنية، ألحقنا بالكتاب مختارات منتقاة من الشعر الوطني.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل،،،

أ.د. محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
عضو مجمع البحوث الإسلامية

المواطنة والتعايش السلمي

المواطنة هي مفاعلة بين طرفين (مواطن ووطن)، والمقصود هنا هو التفاعل بين المواطن والوطن الذي يعيش فيه وينتمي إليه، وما دامت هي علاقة تفاعل، فمعنى هذا أنه لا بد لتحقيق مفهوم المواطنة أن يكون انتماء المواطن وولاؤه كاملين للوطن (يحترم هُويته ويؤمن بها ويدافع عنها)، وهذه الهُوِيّة عبارة عن اللغة والثقافة والحضارة والقيم والتاريخ والآداب العامة، وأيضًا الأرض التي تُمَثّل وعاء هذا الوطن.

إذن مفهوم المواطنة هو (ولاء وانتماء)، ولاء المواطن لوطنه بالهُوِيّة السابق ذكرها ولكل ما يخدمها ويؤسس لها ويساعد على تأصيلها وحفظها وصيانتها، وانتماء إلى مؤسساته الوطنية، وهذا يقتضي حبًّا وتعلّقًا وربطًا بالوطن، فالوطن ليس مجرد نقطة جغرافية وانتهى الأمر، بل هو الماضي والحاضر والمستقبل، فلا شيء في

الدنيا يعادل قيمة الوطن، والواجب في تعامل كل إنسان مع وطنه أن يكون من أهل الوفاء والمروءة والنبل، من حيث بذل النفس فداءً للوطن، وإكرامًا لأبناء الوطن، والسعي في رفعته وتعزيز مكانته بين الأمم.

مفهوم المواطنة لغةً:

المواطنة من الفعل «وَطَنَ» يقال: وَطن بِالْمَكَانِ يطن وطنًا: أَقَامَ بِهِ، وأوطن الْمَكَان اتَّخذهُ وطنًا، وواطنه على الْأَمر أضمر فعله مَعَه وَوَافَقَهُ عَلَيْهِ، وَالْقَوْم عَاشَ مَعَهم فِي وَطن وَاحِد.

ووَطن بِالْبَلَدِ اتَّخذهُ محلًّا وسكنًا يُقيم فِيهِ، واتطن الْبَلَد اتَّخذهُ وطنًا، ويقال: أَوْطَنَ فلانٌ أَرض كَذَا وَكَذَا، أَي: اتَّخَذَهَا محلًّا ومَسْكَنًا يُقِيمُ فِيهَا[1].

مفهوم المواطنة اصطلاحًا:

لا شك أن مصطلح (المواطنة) كمسمى لم يكن موجودًا في مفردات العرب في الأزمنة السابقة، وإنما

(١) لسان العرب (١٣/ ٤٥١)، مادة وطن، المعجم الوسيط (٢/ ١٠٤٢)، مادة وطن.

استحدث هذا اللفظ للتعبير عن العلاقة المتبادلة بين الفرد والدولة، وما يتبع ذلك من حقوق وواجبات.

فالمواطنة تعني: التزامات متبادلة بين الأشخاص والدولة، فالشخص يحصل على حقوقه المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية نتيجة انتمائه إلى مجتمع معين، وعليه في الوقت ذاته واجبات يتحتم عليه أداؤها[1]، وجاء في تعريفها أيضًا: أنها علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقة من حقوق وواجبات في تلك الدولة [2].

وقيل: هي اصطلاح يشير إلى الانتماء إلى أمة أو وطن[3].

المواطنة في ضوء الإسلام:

لقد أكّد النبي ﷺ على مفهوم المواطنة كأساس أصيل في بناء المجتمع منذ قدومه المدينة المنورة، فقد

(١) انظر: موسوعة العلوم الاجتماعية، ميشل مان، تعريب: عادل الهواري، سعد مصلوح، مكتبة الفلاح، الكويت، طبعة عام ١٤٠١٤ هـ- ١٩٨٤ هـ ص١١٠.

(٢) المواطنة حقوق وواجبات، سعيد عبد الحافظ، ص١٠، طبعة ٢٠٠٧، مركز ماعت للدراسات الحقوقية والدستورية، القاهرة.

(٣) الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، طبعة ١٩٩٦، ص٣١١.

قَدِم النبي ﷺ المدينة المنورة، ووجد سُكَّانها أصحاب عقائد مختلفة وثقافات متعددة، فأسس النبي ﷺ المجتمع، الذي يقوم على الوحدة والاتحاد ويؤمن بالحقوق والواجبات، ويهدف إلى الدفاع عن الوطن والذود عنه، وذلك من خلال وثيقة المدينة التي عدَّها المؤرخون دستورًا للدولة الوطنية، بما احتوت عليه من بنود أغلقت جميع الأبواب أمام العصبية والفتنة الطائفية في مجتمع المدينة، كما أرست مبادئ التعايش السلمي بين جميع أبناء المجتمع، في إطار من رعاية المصالح المتبادلة بين جميع الأطراف، فقد جاء فيها: «وأن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم»[1]. وقد حمت الوثيقة ذلك بسياج من العدل يتمثل في نصرة المظلوم والدفاع عنه، حيث جاء فيها: «وإنه لا يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم»[2].

كما أعلت الوثيقة من شأن القيم والأخلاق، فحثت على المروءة والشهامة من أبناء المجتمع، ووصفتهم جميعًا بوصف الجار؛ لما للجوار من حقوق ومكانة في الإسلام

(١) السيرة النبوية، لابن كثير ٢/ ٣٢٢، السيرة النبوية، لابن هشام ١/ ٥٠٣.
(٢) السيرة النبوية، لابن كثير ٢/ ٣٢٢، والسيرة النبوية، لابن هشام ١/ ٥٠٣، والروض الأنف، للسهيلي ٢/ ٣٤٥.

وجعلت حماية بعضهم لبعض حماية للنفس، فقد جاء فيها: (وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم) [1].

والمتدبر بعين البصيرة يدرك - قطعًا - أن الغاية من ذلك نبذ أي خلاف، والترفع عن أي تشاحن، والتسامي فوق أي صراع يمكن أن يحدث بين أبناء الوطن الواحد؛ حفاظًا على وحدة الوطن وسلامته؛ حيث أوضحت بنود الوثيقة هذه الغاية في نصها: «وَإِنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ، وَلِلْمُسْلِمِيْنِ دِينُهُمْ، مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ»[2].

المواطنة أساس التعايش السلمي:

إن الإنسانية الحقيقية دعوة إلى التراحم، والتآلف، والاحترام، والإحسان، والتعايش السلمي بين الناس جميعًا بما يحقق النفع للمجتمع كله، وهذه المعاني الراقية لا تخلو منها رسالة من الرسالات، ولا ديانة من الديانات السماوية، إذ إن المشكاة التي يخرج منها نور الوحي الذي يضيء للبشرية طريقها هي مشكاة واحدة، يقول

(١) السيرة النبوية، لابن كثير ٢/ ٣٢٢.
(٢) السيرة النبوية، لابن هشام ٢/ ١٠٧.

الحق ﷻ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [سورة الشورى، الآية ١٣]، وفي سورة الأنبياء بعد أن ذكر لنا الحق ﷻ بعض المواقف من حياة رسله وأنبيائه - عليهم الصلاة والسلام- قال جل شأنه: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾[سورة الأنبياء، الآية ٩٢]، يقول الإمام البغوي ﵀: لقد بعث الله الأنبياء جميعًا بإقامة الدين، والألفة والجماعة، وترك الفرقة والمخالفة [١].

ومن هذا المنطلق الإنساني كان تعامل النبي ﷺ مع غير المسلمين، فكان ﷺ يحسن معاملتهم، ويزور مريضهم، ويَقْبَلُ هديتهم، ويجيب دعوتهم؛ ترسيخًا لمبدأ التعايش السلمي؛ وإعلاءً للقيم الإنسانية.

ـ الهجرة إلى الحبشة وأسس التعايش مع الآخر:

إن الهجرة إلى الحبشة هي أحد النماذج الفريدة في السيرة النبوية المشرفة، التي تبرز قيمة التعايش السلمي بين بني

(١) معالم التنزيل، للبغوي ٤/ ١٢٢.

الإنسان مع اختلاف عقائدهم ولغاتهم وطبائعهم، وترد على أصحاب الفكر الأحادي؛ ومن ثمّ «فلا يكون المسلم نشَّازًا أو خارجًا أو نافرًا، بل يكون إلفًا يألف الناس ويألفونه، ويندمج مع الكون من حوله وينسجم، فيحرص على التعاون على البر والتقوى والاتحاد من أجل المصالح المشتركة»[1].

ـ الهجرة إلى المدينة وفقه المواطنة وترسيخ قيم السلام:

يذكر صاحبُ مختصر السيرة[2] أن أولَ كلمةٍ سُمِعت منه ﷺ حين قدم المدينة المنورة كانت الدعوة الرصينة للسلام، فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ سَلَام رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ الله ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ،

(١) التعايش مع الآخر في ضوء السيرة النبوية، الأسس والمقاصد، د. علي جمعة، ط١/ ٢٠١٨، شركة بروج للأدوات المكتبية والمدرسية، القاهرة، ص ٧، ٨.
(٢) انظر: مختصر السيرة، لمغلطاي، ص ٦٥.

وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ)[1]، فرسّخ النبي ﷺ بأول توجيهٍ بعد الهجرة إلى المدينة أسسَ المواطنة والتعايش السلمي في أسمى معانيه الإنسانية، كبدايةٍ وتهيئةٍ لبناء المؤسسات على أسس وطنية وإنسانية راقية، وليس السلام هنا وقفًا على أحد أنواعه، بل هو سلام شامل، مع النفس، مع الآخر، مع المجتمع، مع كل أجناس الكون، من خلال قيم رسّخها النبي ﷺ في مستهل إقامة الدولة بمؤسساتها؛ ليصنع رسول الله ﷺ بذلك وعيًا أولًا بقيمة السلام كسبيل رئيس في استقرار الوطن، ومن ثمّ ترجمة هذا الوعي ثانيًا وتحويله لواقع عمليٍّ، فيتكون ويتولد لدى كل فرد من أفراد الوطن معنى أبعد وأعمق بكثير يؤدي إلى أن يكون الوطن بالنسبة إليه حياة، وهُوية، وانتماء، وأمانة، وليس مجرد نقطة جغرافية يعيش الإنسان عليها.

(١) سُنن ابن ماجه: أبواب إقامة الصلوات والسنة فيها / بَابُ مَا جَاءَ فيمن أيقظ أهله من الليل: حديث رقم ١٣٣٤، ومصنف ابن أبي شيبة: كتاب الأدب / ما قالوا في البر وصلة الرحم: حديث رقم: ٢٥٣٨٩.

وثيقة المدينة وفقه المواطنة:

لقد رسّخ رسول الله ﷺ (المواطنة) في أسمى معانيها حينما هاجر إلى المدينة، ووضع أولَ دستور للدولة المدنية في العالم بمفهوم جديد يقوم على المساواة بين كل المواطنين؛ ليكون بذلك سابقًا كل النظم العالمية الحديثة، حدّد من خلاله الملامح الرئيسة للإسلام. إذن هذه الوثيقة تعبر عن مجموعة من القواعد الأساسية التي تبين شكل الدولة ونظام الحكم فيها.

وبشيء من التدقيق نستطيع أن نقول إن هذه الوثيقة كانت ثمرة لمشاورة الرسول ﷺ لأهل هذه الوثيقة؛ لأنها تنظم شئون الدولة، وتقنن العلاقات الدنيوية بين أفراد الدولة، ومن فقه هذه الوثيقة التي تؤكد مفهوم وأسس المواطنة الكاملة، والتي من بينها[1]:

- التعايش السلمي بين الجميع، وقاعدته قطع أي تعاون عسكري مع أعداء الوطن وحلفائهم،

(١) انظر فيما يستفاد من فقه لهذه الوثيقة وبنودها: التعايش مع الآخر، د. علي جمعة، ص ٦٤-٦٦.

ووجـوب الدفـاع عـن الوطـن، والنـصرة تكـون في الحـق والعـدل، لا في الظلـم والإثـم.

ـ توفير الأمن للجميع: الإنسـان آمـن في حرية اختياره، فمـن رضي بالوثيقـة وعَقْدِهـا فهو آمـن، ومن رفضها واعـترض عليهـا فهـو آمـن أيضًـا، لا يُضطهـد، ولا يُعتـدى عليـه، ولا يُنقـص حـقٌ وجب له.

ـ الإنسـان حـرٌّ في انتقالـه مـن المدينـة، وحـرٌّ في إقامتـه فيهـا، يَنْعَـم بـما يَنْعَـم به أهلهـا من حقـوق، ويتحمل مثـل مـا يتحملون مـن المسـؤوليات والواجبـات، له مـا لهـم وعليه مـا عليهم. فهـو آمن على نفسـه، وعلى عِرضـه، وعلى كرامتـه، وعـلى عقيدته.

ـ إقـرار مبـدأ المسـئولية الفرديـة: فـكل إنسـان يتحمل مسـئولية جرمـه وما اكتسـبه يُسـأل عنـه ويُؤاخذ به، لا يحـل مؤاخـذة الجماعـة بجريـرة الفرد.

ـ كـما نصّـت الوثيقـة عـلى قاعـدة المسـئولية الجماعيـة بمعنـى أن الجماعـة كلهـا مسـئولة عن محـاصرة الظالم أو الجـاني ومحاكمتـه، والحـرص عـلى نوالـه العقـاب عـلى مـا اقـترف مـن الجُرم.

ـ وحلّت الوثيقة تشابك العلاقات الإنسانية، فهناك علاقة القرابة والدم، وهناك علاقة الدِّين، وهناك علاقة الجوار، وهناك علاقة المصالح المشتركة، فإن عاشت هذه العلاقات جميعها في وئام وتوافق استطاع الإنسان أن يحقق التعايش والسلام الاجتماعي.

ـ الكرامة الإنسانية حق لكل إنسان؛ حيث قالت الوثيقة: (الجار كالنفس غير مُضار ولا آثم)، فمن لم يدخل في المعاهدة أو الوثيقة فهو جار لأهلها لا يصيبه ضرر ولا إثم.

ـ أقرت الوثيقة مبدأ المساواة، وذمة الله واحدة، فمن أعطاها فهي محترمة من كل المؤمنين، سواء أكان من أعطاها أعلاهم قدرًا ومنزلة أم أدناهم، فقالت: (وَإِنَّ ذِمَّةَ اللهِ وَاحِدَةٌ، يُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُمْ)، وقالت أيضًا: (وَإِنَّ سِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ).

ـ سَنَّت الوثيقة سُنَّة (التكافل) بين أفراد الأمة في مختلف الميادين، سواء كانت تلك الميادين مادية أو دنيوية، فالأمة متكافلة ومتضامنة في «الحق»،

فجاء في نص الوثيقة (وَإِنَّ النَّصْرَ لِلْمَظْلُومِ)، وهي متكافلة ومتضامنة في المساواة القانونية (وَإِنَّ ذِمَّةَ اللهِ وَاحِدَةٌ، يُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُمْ)، الأمر الذي يعني رفض «الطبقية» الجاهلية، عِرقية كانت أو اجتماعية، وهذه الأمة متكافلة ومتضامنة كذلك في المعاش والأموال، فهي مع [الْمُفْرَح] - أي: الْمُثْقَل بالدين - حتى يتحرر من الدَّيْن الذي يثقل كاهله، (وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتْرُكُونَ مُفْرَحًا[1] بَيْنَهُمْ أَنْ يُعْطُوهُ بِالْمَعْرُوفِ فِي فِدَاءٍ أَوْ عَقْلٍ).

- لقد قررت هذه الوثيقة أن هذا الوطن حرم آمن، وأنه لا حصانة لظالم أو آثم، (وَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ آمِنٌ، وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ بِالْمَدِينَةِ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ أَوْ أَثِمَ).

- وغير ذلك كثير مما يمكن استنباطه من وثيقة المدينة.

وبذلك يكون رسول الله ﷺ قد وضع دستورًا لقيام المجتمع والدولة على أسس قوية سليمة معقولة

(١) ويروى: «مفرجًا» وَهُوَ بِمَعْنى المفرح بِالْحَاء الْمُهْمَلَة.

(المواطنة)، ووفيّة بحاجات أي مجتمع في أي عصر من العصور[1].

مظاهر المواطنة الحقيقية:

المواطنة بمفهومها الشامل الذي يحقق التعايش السلمي ليست علاقة تقف عند حدود علاقة الشخص بالدولة فحسب، بل هي دعوة إلى التواصل مع الآخرين، والتعاون الكامل والبر المطلق، يقول تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة، الآية ٨].

ومن تلك المظاهر ما يلي:

المساواة بين أبناء الوطن الواحد، فلا تمييز لجنس على جنس، ولا لفئة على فئة، ولا فرق بين إنسان وآخر على أساس المعتقد أو اللون أو اللغة أو غير ذلك، ولقد جاءت دعوة الإسلام إلى احترام الإنسان

(١) انظر (بتصرف): الإسلام ومشكلاتنا الحاضرة، الدكتور محمد يوسف موسى، ط ديسمبر ١٩٥٨، دار الجهاد، القاهرة، ص ٩.

مـن أجـل آدميتـه وإنسـانيته دون تعصـب أو تمييـز، حيث يـقول الحـق ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سـورة الإسراء، الآية ٧٠]، ويقول - جـل شـأنه -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سـورة الحجرات، الآيـة ١٣]، ويقول ﷺ: (يـا أَيُّهَـا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُـمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُـمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْـلَ لِعَـرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِـيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَـلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَـرَ عَلَى أَسْـوَدَ، وَلَا أَسْـوَدَ عَلَى أَحْمَـرَ، إِلَّا بِالتَّقْـوَى)»[1]، ويقـول ﷺ: (وَالنَّـاسُ بَنُـو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُـرَابٍ)[2].

ولا شـك أن التطبيـق العمـلي لهـذا المظهـر مـن مظاهـر المواطنـة مـن شـأنه أن يعـلي مـن مبـدأ تكافـؤ الفـرص، ويجعـل النـاس سواسـية في الحقـوق والواجبـات.

ومـن أروع ما يسـطره لنـا التاريخ في هذا البـاب ما وقع بـين عبـد الله بن عمـرو بن العـاص ﷺ وغُـلَامٍ قِبْطِـيٍّ؛ إِذْ

(١) أخرجه أحمد (٣٨/ ٤٧٤/ حديث رقم ٢٣٤٨٩).
(٢) أخرجه أحمد (١٤/ ٣٤٩/ حديث رقم٨٧٣٥).

تَسَابَقَا، فَسَبَقَ الْقِبْطِيُّ ابْنَ عمرو ﷺ، فَصَفَعَهُ، وَقَالَ: أَتَسْبِقُنِي وَأَنَا ابْنُ الْأَكْرَمَيْنِ؟ فَلَمَّا رُفِعَ الْأَمْرُ إِلَى عُمَرَ ﷺ لَمْ يَرْضَ إِلَّا أَنْ يَصْفَعَ الْقِبْطِيُّ ابْن عمرو ﷺ كَمَا صَفَعَهُ، وَقَال عمر ﷺ كَلِمَتَهُ الْمَشْهُورَةَ: «مُنْذُ كَمْ تَعَبَّدْتُمُ النَّاسَ وَقَدْ وَلَدَتْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ أَحْرَارًا؟!»[1].

حرية ممارسة الشعائر الدينية:

فالمواطنة تعني حرية الاعتقاد، وحرية أداء أهل كل ملة شعائر دينهم دون تضييق على أحد، ودون إلزام أو إكراه لأحد على ترك دينه أو معتقده، ولقد أسس القرآن الكريم لهذا الحق وأكد عليه، حيث يقول سبحانه: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[سورة البقرة، الآية ٢٥٦]، ويقول تعالى: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾[سورة الكافرون، الآية ٦]، وكما كفل الإسلام حرية العقيدة أمر كذلك بالحفاظ على مقدسات الآخرين، وحمايتها، وعدم الاعتداء

(١) فتوح مصر وأخبارها، لأبي القسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، ص ٢٩٠، دار الفكر.

عليها، وحذر من منعهم من أداء شعائرهم، فقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [سورة الحج، الآية ٤٠].

وقد كان النبي ﷺ يوصي قادته بأهل الأديان الأخرى، فعَنِ ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا بَعَثَ جُيُوشَهُ قَالَ: (...لَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا الْوِلْدَانَ، وَلَا أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ)[1]. وفي وصية أبي بكر رضي الله عنه: (وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له)»[2].

وهذا سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعطي أمانًا لأهل إيلياء جاء فيه: (بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا أَعْطَى عَبْدُ الله عُمَرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلَ لُدٍّ وَمَنْ دَخَلَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ فِلَسْطِينَ أَجْمَعِينَ، أَعْطَاهُمْ أَمَاناً لِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَلِكَنَائِسِهِمْ وَصُلُبِهِمْ وَسَقِيمِهِمْ وَبَرِيئِهِمْ وَسَائِرِ مِلَّتِهِمْ،

(١) أخرجه أحمد (٤ / ٤٦١/ حديث رقم ٢٧٢٨).
(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٧.

أَنَّـهُ لَا تُسْـكَنُ كَنَائِسُـهُمْ وَلَا تُهْدَمُ وَلَا يُنْتَقَـصُ مِنْهَا وَلَا مِنْ حَيِّزِهَـا وَلَا مِلَلِهَـا، وَلَا مِـنْ صُلُبِهِـمْ وَلَا مِـنْ أَمْوَالِهِمْ، وَلَا يُكْرَهُـونَ عَـلَى دِينِهِـمْ، وَلَا يُضَارَّ أَحَـدٌ مِنْهُمْ)»[1].

وقـد انتقلـت هـذه القيـم والمعـاني بـين حكام المسـلمين جيلًا بعد جيلٍ في تطبيق عملي لسـماحة الإسـلام ووسـطيته.

* * *

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٧.

احترام النظام العام

يُعد احترام النظام قيمةً إنسانيةً، وضرورةً دينيةً واجتماعيةً ووطنيةً، تعنى به المجتمعات المتقدمة، وتحرص عليه الأمم المتحضرة، وتحت مظلته يتساوى الناس في الحقوق والواجبات، فيحترم الإنسان غيره، ويؤدي إلى الناس حقوقهم، ويحب لهم ما يحب لنفسه، فاحترام الآخرين بصفة عامة دليل احترام الإنسان نفسه، ومن ثم فإن النظام يحدد للإنسان علاقاته ويوضح له حقوقه وواجباته، ويضبط سير الحياة اليومية للفرد، سواء في عمله أم في طريقه أم في غير ذلك.

النظام في اللغة والاصطلاح:

النظام في اللغة يطلق ويراد به الترتيب والاتساق، أي اتساق الأمر وترتيبه ووضعه في مكانه الصحيح، كما يطلق النظام ويراد به الخيط الذي يُنظَمُ فيه اللؤلؤ

وغـيرُه، والنِّظـام: السـيرة والهـدْي، وليس لأمرهـم نظام؛ أي ليـس لـه هَـدْي ولا متعلـق ولا اسـتقامة، والنظـام: الطريقـة، يقـال: مـا زال عـلى نظام واحـد[1].

أمـا النظـام في الاصطـلاح فهو عبـارة عـن مجموعة من المبـادئ والتشريعـات والأعـراف والقواعـد وغيرهـا مـن الأمـور التـي تقـوم عليهـا حيـاة المجتمـع، وتنظـم أمـوره الداخليـة والخارجيـة[2].

وبتعبـير آخـر فالنظام هـو القانون الذي يربـط بين أفراد المجتمـع، وفي ظلـه يعـرف كل فـرد ما لـه من حقـوق تجاه إخوانـه، ومـا عليـه مـن واجبـات حيالهـم، ويـدرك ما هو مـشروع له فيمارسـه، ومـا هو محرم عليـه فينأى عنـه، ومن ثـم يتحقـق للمجتمـع اسـتقراره ورفاهيته، بـل وحضارته بين المجتمعـات الأخرى[3].

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور:١٢/ ٥٧٨، دار صادر بيروت - لبنان، ط ٣ ، ١٤١٤هـ ومختار الصحاح للرازي: ١/ ٣١٣ ، المكتبة العصرية، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، والمعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة (مادة: نظم)، ٣/ ٢٢٣٦، عالم الكتب، ط١ ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(٢) انظر: المدخل لدراسة النظم الإسلامية، محمد رأفت سعيد، ص٤، طبعة دار العلم، جدة.

(٣) انظر: النظم الإسلامية والمذاهب المعاصرة، حسن عبد الحميد عويضة، ط دار الرشيد، الرياض ، ص ١٢.

النظام سُنَّة كونية:

إن المتأمِّل في هذَا الكونِ الواسعِ يرى أن النظام سُـنَّة مـن سُـنن الله الكونيـة في الخلق، فالكون كله يسـير وفق نظـام دقيـق، وترتيـبٍ بديـع، وتنسـيقٍ محكـم، وإتقـانٍ يُبهِـرُ العقـولَ، ولا عجـب في ذلـك فتلـك صنعـة بديع السـموات والأرض التـي قـال عنهـا: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [سـورة النمـل، الآيـة ٨٨]، كـما أن كل شيء في هـذا الكون يـؤدي دوره ووظيفتـه التـي خلقـه الله ﷻ مـن أجلهـا، بانتظـام وإتقـان وإحـكام، بحيـثُ لا يتقـدم لاحِـقٌ عـلى سـابِقٍ، ولا يتأخر سـابِقٌ عـلى لاحِقٍ، وفي ذلـك يقول الحـق ﷻ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[سـورة يـس، الآيـات ٣٨ - ٤٠]، فـكُلُّ ذرَّةٍ من هذا الكَـون لها مكانهـا وموقعهـا التي حدده الله تعالى لهـا، ولهـا حركتها الخاصـة بها.

النظام مبدأٌ من مباديءِ الشريعة الإسلامية:

إن الدين الإسلامي دين يُنظّم حياة البشر في مختلف ميادينها، بما يصلح شأن الفرد والمجتمع، كما ينظم للإنسان دقائق حياته بما يصلح دنياه وآخرته، ذلك أن النظام محور أساس لحياة الناس جميعًا، وقد جاءت الشريعة الإسلامية بنظام دقيق متناسق ومتناغم مع نظام هذا الكون المنضبط، ليدل ذلك دلالة قاطعة على أن خالق الكون هو من أنزل هذا الشرع الحنيف، ويتجلى ذلك في أمور العبادات، فنجد أن الصلاة وهي أعظم شرائع هذا الدين نظام كامل، لها أوقات محددة، وطريقة أداء منضبطة، وعدد ركعات معينة، سواء أداها الإنسان منفردًا أم في جماعة، فلا يجوز للإنسان أن يتعدى هذه الأوقات، أو يغير في عدد الركعات، أو في الهيئات والصفات، وقد غرس النبي ﷺ النظام والترتيب بين أركانها؛ حيث قال: (...وصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمونِي أُصَلِّي)[1]، فلو قدم المصلي ركنًا على ركن وخالف النظام والترتيب

(١) صحيح البخاري (كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر، إذا كانوا جماعة، والإقامة، وكذلك بعرفة وجمع، وقول المؤذن: الصلاة في الرحال، في الليلة الباردة أو المطيرة، حديث رقم ٦٣١).

بطلت صلاته، بل جعل النبي ﷺ تسوية الصفوف من تمام الصلاة، فكان ﷺ يقول للصحابة: (سَوُّوا صُفُوفَكُمْ، فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ)[1]، وكان ﷺ يُعلِّمُ أصحابَهُ احترامَ النظام في صلاة الجماعة قائلًا: (إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَلاَ تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ، فَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَإِذَا صَلَّى جَالِسًا فَصَلُّوا جُلُوسًا أَجْمَعُونَ، وَأَقِيمُوا الصَّفَّ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّ إِقَامَةَ الصَّفِّ مِنْ حُسْنِ الصَّلَاةِ)[2]، ولا شك أن هذه صورة من أرقى وأبهى وأجمل صور النظام.

وكذلك الزكاةُ لها أحكامها التي تتعلق بأنواعها ووقتها ومقاديرها، والصيام - أيضًا - نظام كامل، له أحكامه بداية ونهاية؛ حيث يرتبط بالزمان من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، كذلك الحج الذي علمنا فيه النبي ﷺ النظام والترتيب، فله زمنه المعلوم ومناسكه وشعائره،

(١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها، حديث رقم (٤٣٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب إِقَامَةُ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلاَةِ، حديث رقم (٧٢٢).

التي يتنقل العباد منها في نظام كامل لا يخرجون عنه ولا يتجاوزونه، وغير ذلك من العبادات، التي تُؤدَّى وفقَ نظامٍ دقيقٍ مُفَصَّلٍ ومُوَضَّحٍ كمًّا وكَيفًا.

مفهوم النظام العام:

النظام العام هو مجموعةٌ من القواعد التي يقوم عليها أساس المجتمع، والتي توفّر الحماية العامة لكافة المواطنين والأشخاص الذين يتواجدون على أرض دولة ما، والتي يترتب على غيابها انهيار المجتمع ككل[1].

ومن ثم يتضح أن مفهوم النظام العام بالمعنى الواسع ينصرف إلى مجموعة من الأسس والمبادئ التي يقوم عليها المجتمع، لضبط سير الحياة اليومية للفرد، سواء في عمله أم في طريقه أم في غيرها، ولا يجوز لأحد مخالفتها، بل يجب على جميع أفراد المجتمع الالتزام بها.

ضرورة احترام النظام العام:

من المعلوم أن لكل دولة قانونًا ينظم علاقة الفرد ببقية أفراد المجتمع، ولكل دولة نظامًا يسير عليه

(١) النظام العام، موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة https://ar.wikipedia.org/wiki .

أفرادها، يجب مراعاته، واحترامه، والالتزام به؛ حتى يعيش الإنسان في أمن وأمان، واطمئنان واستقرار؛ وحتى لا تسود الفوضى بين أبناء المجتمع، فتضطرب حياة الناس، وتصبح أمورهم بلا ترتيب وبلا نظام.

ويُعدُّ احترام النظام العام ضرورة لا يمكن أن تستقيم الحياة بدونها، لذا دعا إليه الإسلام، وأمر أتباعه بأن يجعلوه سلوكًا يمارسونه في حياتهم اليومية، حتى يكون المجتمع الإسلامي مجتمعًا منظمًا يتحمل كل فرد فيه مسئوليته، فتتحقق المصلحة العامة التي يحصد ثمارها المجتمع كله، يقول نبينا ﷺ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ ومَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...)[1]، فالمجتمع المسئول مجتمع منظم متماسك، يعرفُ كل واحد فيه دوره، ويحترم غيره، وينظر بعين الخير للجميع، وإن شعور الإنسان

(١) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، بَابُ الجُمُعَةِ فِي القُرَى وَالمُدُنِ، حديث رقم (٨٩٣).

بالاعتـزاز بوطنـه، والمسـئولية تجـاه مجتمعـه؛ يوجـب عليه احـترام النظـام العام، ليكـون مبدأ وشـعارًا يحترمه الجميع، وتحويلـه إلى سـلوك يمارسـه في حياتـه اليوميـة.

فإن من أسـباب تقـدم الأمم وعوامـل رقيها وحضارتها احـترام أبنائهـا للنظـام العـام، فحفـظ النظـام واحترامـه، والالتـزام بالقوانين سـلوكٌ دينيٌ وحضـاريٌ؛ إذ لابد لكل فئـة تتعايـش في مجتمع واحـد من بعض الأنظمـة والقواعد العادلـة، التي تضبط سـلوك الأفراد، وتحفظ على الإنسـان حقوقـه، ويُلـزم فيها بأداء مـا عليه مـن واجبات.

ومـن دون النظـام لـن ينـال النَّـاسُ حَقوقهـم، ولـن يتحقـق لهـم العَـدلُ؛ فـإن العمـل دون نظـام يصبـح ضربًا مـن العبـث وضيـاع الوقـت سـدى، إذ تعـم الفـوضى والارتجاليـة ويصبـح الوصـول إلى الهـدف بعيـد المنـال.

ومن مظاهر احترام النظام العام:

ـ احترام القانون:

إن احـترام القانـون بصفـة عامـة يعـد أهـم أعمـدة النظـام، وصـورة مـن صـور اسـتقامة السـلوك الإنسـاني،

فالقانـون وُضـع ليطبق على الجميـع بلا اسـتثناء حماية لكل المواطنـين، وتنظيـمًا للعلاقـات والمعامـلات، فـلا يتصـور بقـاء المجتمـع مسـتقرًّا دون احـترام القوانـين.

والمتأمـل في حال الـدول المتقدمة، والمجتمعـات الراقية يعلـم يقينًا أنها ما وصلت إلى ما وصلـت إليه إلا باحترامها للقوانـين، والتزامهـا بتطبيقهـا، وإنـك لتعجـب حينما تجد كثـيرًا مـن أبنائنـا الذيـن سـافروا إلى هـذه الـدول يعلنـون إعجابهـم بِدقـة النظام، والتـزام الناس بـه، وإخلاصهم في عملهـم، وانضباطهـم في مواعيدهم، ولكنهم هم أنفسـهم إذا عـادوا إلى أوطانهـم مـرة أخـرى تـرى بعضهـم عـاد سـيرته الأولى مِـن عدم الالتـزام بالنظـام ومحاولـة التفلت مـن الالتـزام بالقوانـين وما ينظـم الشـأن العام.

ـ الحفاظ على مؤسسات الدولة ومرافقها العامة:

مـن أهـم مظاهـر احـترام النظـام العـام الحفـاظ عـلى مؤسسـات الدولـة وجميع المرافـق العامة، كالمرافـق التعليمية مـن المـدارس، والمعاهـد، والجامعـات، والمرافـق الصحيـة كالمستشـفيات، والمراكـز الطبية، والمرافـق الخدمية كالمصالح

الحكومية، والطرق، ووسائل النقل، والحدائق العامة، وغيرها من المرافق التي تشيدها الدولة من أجل تقديم الخدمات المختلفة بشكل مستمر للمواطنين كافة.

ومن هنا وجب على كل وطني شريف أن يحافظ على جميع المرافق والمؤسسات العامة، وعدم الاعتداء عليها، بإساءة استخدامها، أو استغلالها للمنفعة الشخصية، أو إلحاق أي ضرر بها، أو إتلافها، أو تخريبها، أو العبث بها لتشويه منظرها الجمالي، فإن ذلك يُعد شكلاً من أشكال الفساد والإفساد، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة المائدة، الآية ٦٤]، فحمايتها واجب ديني ووطني، باعتبارها ملكًا لجميع الناس، فكما يحافظ الإنسان على أغراضه وممتلكاته الشخصية فإنه يجب عليه الحفاظ على المرافق العامة وجميع مؤسسات الدولة؛ لأن الإضرار بها سيؤدي إلى تعطل الحياة بشكل عام في المجتمع، إضافة إلى الأضرار الكبيرة التي يتأثر بها المال العام للدولة بسبب إصلاح هذه الأضرار.

ـ الالتزام بقواعد المرور وضوابطه:

إن هذه القوانين وإن كانت من الأمور الحضارية المستجدة إلا أنها مستندة إلى أصول ثابتة في ديننا الحنيف

الـذي أصّـلَ لحقـوق الطّريـق، حيـث يقـول نبينـا ﷺ: (الإيـمَانُ بِضْـعٌ وَسَـبْعُونَ - أَوْ بِضْـعٌ وَسِـتُّونَ - شُـعْبَةً، فَأَفْضَلُهَـا قَـوْلُ: لاَ إِلَـهَ إِلاَّ الله، وَأَدْنَاهَـا إِمَاطَـةُ الأَذَى عَـنِ الطَّرِيـقِ، وَالْحَيَاءُ شُـعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ)[1]، ويقـول ﷺ: (أَمِطِ الأَذَى عَـنِ الطَّرِيـقِ فَهُوَ لَـكَ صَدَقَةٌ)[2]، فـإذا كانت إماطة الأذى عـن الطريـق صدقـة، وشـعبة مـن شـعب الإيـمان، وسـبيلًا لدخـول الجنـة، فكيـف بمن يحـترم قوانـين المرور وضوابطـه ولا يخالفهـا بالسـير عكـس الاتجـاه، أو بزيـادة السرعـة، أو غـير ذلـك من الأمـور التـي تعتـبر تعديًا على حقـوق الطريـق، وعلى حقـوق النـاس، والتي قد تتسـبب في إزهـاق روحه أو أرواح غيره، أو إصابتهم، أو ترويعهم، والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[سـورة البقـرة، الآية ١٩٥]، ويقـول نبينا ﷺ: (لَا ضَرَرَ ولا ضِرَار)[3]، فحـق الطريـق حـق عـام ينبغـي احترامه والالتزام بما ينظم التعامل معه أو فيه.

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ شُعَبِ الْإِيمَانِ، حديث رقم (٣٥).
(٢) مسند أحمد ٣٣ / ٣٦، حديث رقم (١٩٧٩٤).
(٣) سُنن ابن ماجه، كتاب الأحكام، بَابُ مَنْ بَنَى فِي حَقِّهِ مَا يَضُرُّ بِجَارِهِ، حديث رقم (٢٣٤١).

ـ الالتزام بمبدأ الحق والواجب:

فكما يريد الإنسان أن يأخذ حقه عليه أن يفي بواجبه تجاه مجتمعه، سواء في أداء ما عليه من التزام أو سداد ما يُحصل من خدمات، ولا يعمد إلى التفلت مما عليه من استحقاقات.

جدير بالذكر أن الأخذ بمبدأ مقابلةِ الحق بالواجب ضرورة شرعية ومجتمعية لضمان العدل بين الناس والتعايش في سلام وأمان، وقد أشارت بعض النصوص القرآنية والنبوية إلى هذه التبادلية، وإلى ضرورة الوفاء بالحقوق والواجبات معًا؛ حيث يقول الحق سبحانه في العلاقات بين الزوجين: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٢٨]، ويقول ﷺ في الحديث القدسي: (ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ)[1].

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، بَابُ إِثْمِ مَنْ بَاعَ حُرًّا، حديث رقم (٢٢٢٧).

فما أحوجنا إلى احترام النظام والتزام القوانين، ومراعاة حقوق الآخرين، وتربية أبنائنا على ذلك، حتى يسود العدل، وتنتشر روح الإخاء والمحبة والمودة، وينعم المجتمع كله بالأمن والأمان والاستقرار، ونرى بلادنا في المكانة التي تليق بها بين الأمم.

* * *

الحفاظ على المال العام

المالُ قِوامُ الحياةِ الإنسانيَّة، وضرورةٌ من ضرورياتها، وهو نوع من أنواع الزينة في هذه الحياة الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [سورة الكهف، الآية ٤٦].

ويُعد المال من أهمِّ الوسائل التي من خلالها نُعمّر الأرض في شتى المجالات، فللمال أهمية في تسيير أمور الحياة، والنهوض بالأفراد والأمم لتحقيق وسائل العيش الكريم، والرقي إلى مدارج التقدم، وصدق أمير الشعراء أحمد شوقي حيث قال:

بالعِلمِ والمالِ يَبني النّاسُ مُلْكَهُمُ لم يُبنَ مُلْكٌ على جهلٍ وإقلالِ

وقد جاءت نصوصُ الشرع الشريف تأمرنا بالمحافظة على هذا المال، فنهى عن أكل المال الحرام بكل صوره وأشكاله نهيًا قاطعًا لا لبس فيه، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [سورة النساء، الآيتان ٢٩، ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[سورة البقرة، الآية ١٨٨].

وقد كان بعض الصالحين يتركون بعض الحلال مخافة أن تكون فيه شبهة حرام؛ حيث يقول نبينا ﷺ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»[1]. ويقول ﷺ: «كُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، بَابُ الحَلاَلُ بَيِّنٌ وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، حديث رقم: ٢٠٥١، وصحيح مسلم، كِتَابُ المُسَاقَاةِ، بَابُ أَخْذِ الحَلاَلِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ، حديث رقم: ١٥٩٩.

فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ»[1] . وقد ذكر نبينا ﷺ: «الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يا رَبِّ يا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، ومكسَبُه حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»[2].

وقد قسَّم العلماءُ المالَ قسمين: خاص وعام. فأما المال الخاص: فهو المال الذي يَملكه شخصٌ معيَّن، أو أشخاص محصورون، وله أحكامه التي تتعلق به من حيث تصرف المالك له بالأصالة أو بالوكالة أو بالولاية، أو بغيرها، وكذلك له أحكامه التي تتعلق به من حيث طرق كسبه، وكيفية الحفاظ عليه والعمل على تنميته، وأيضًا حكم من سَلَبَهُ أو سَرَقه بأي وسيلة كانت.

وأما المال العام: فهو ما كان مُخَصَّصًا لمصلحة عموم الناس ومنافعهم، أو لمصلحة عامة، كالمساجد، والمرافق العامة، والطرق والجسور والموانئ، وحافلات النقل، ومؤسسات العمل المختلفة، والحدائق العامة، والمدارس، والجامعات، والمستشفيات، وسائر مشروعات

(١) مسند أحمد ٢٢/ ٣٣٢، حديث رقم: ١٤٤٤١.
(٢) صحيح مسلم، كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ، حديث رقم: ١٠١٥.

البِنْيَة الأساسية للمجتمع، والأراضي المخصَّصة لمنافع الدولة، مثل: الملاعب، والساحات الرياضية، والبحار، والأنهار... وكل ما يؤدي نفعًا عامًّا للناس كافة، وهذا القسم أيضًا له أحكامه التي تتعلق به.

ويتضح من هذا التعريف للمال العام أن من أبرز خصائصه التي يتميز بها عن المال الخاصِّ أنَّ الانتفاع به يكون للجميع، باعتباره حقًّا لكل أفراد المجتمع.

على أن نشير هنا إلى أن حقَّ الانتفاع للناس جميعًا بالمال العام لا يكون عَبَثًا أو وفق الهوى، بل من خلال مجموعة من الضوابط والقواعد التي يضعها وليُّ الأمر- وفق اجتهاده بعد النظر السليم والتحري الدقيق، مستندًا إلى استشارة أهل الاختصاص، والإفادة من الكفاءات وأهل الخبرة - ومن هنا وجب على كل إنسانٍ أن يحترم المال العام، والقوانين المنظمة له، وأن يكون أمينًا عليه، حافظًا له، يدرك أنه له ولغيره.

وبناءً على هذا، فإن المال العام هو ركيزة رئيسة للأمم، به تُدير شُئونَها، وتقيم مؤسساتها، وتصون أرضها،

وتقدم خدماتها، وترتقي بأفرادها، وتسهم من خلاله في بناء الحضارة الإنسانية، كما أنها تؤسس من خلاله لمجتمع راقٍ مترابط تسوده قيم المحبة والرحمة والتكافل والتعاون؛ فتطعم الجائع، وتُعين الضعيف، وتكسو العاري، وتداوي المريض، وتساعد الفقير، وتُعَلِّمُ الجاهل، وتنشر الخير والأمن والاستقرار في جنباتها.

وإذا كان المال الخاص المملوك للإنسان، يَبذُل -الإنسان- لأجله ما في وسعه وطاقاته وإمكاناته بما يُمكّنه من المحافظة عليه، فإنَّ الناس (كل الناس) مُكَلَّفون أيضًا بالمحافَظة على المال العام؛ ذلك لأن نفْعَه غيرُ مُختزل أو منحصر على فرد أو جماعة، بل يعود نفعه على الناس كافة.

ومن ثمَّ فالمال العام محمي بموجب الشرع مثل حماية المال الخاص؛ بل إن المال العام قد يكون أشدَّ حرمة لكثرة الحقوق المتعلقة به، وتعدد الذمم المالكة له، ولذلك حذر الإسلام من سرقته أو الإضرار به، قال تعالى: ﴿**وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾[سورة آل عمران، الآية ١٦١]، ويقول ﷺ:

(إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ الله بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ)[1]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلى خَيْبَرَ، فَفَتَحَ الله عَلَيْنَا، فَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلاَ وَرِقًا، غَنِمْنَا المَتَاعَ وَالطَّعَامَ وَالثِّيَابَ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا إِلَى الْوَادِي، وَمَعَ رَسُولِ الله ﷺ عَبْدٌ لَهُ، وَهَبَهُ لَهُ رَجُلٌ مِنْ جُذَامٍ، يُدْعَى رِفَاعَةَ بْنَ زَيْدٍ مِنْ بَنِي الضُّبَيْبِ، فَلَمَّا نَزَلْنَا الْوَادِيَ قَامَ عَبْدُ رَسُولِ الله ﷺ يَحُلُّ رَحْلَهُ فَرُمِيَ بِسَهْمٍ. فَكَانَ فِيهِ حَتْفُهُ. فَقُلْنَا: هَنِيئا لَهُ الشَّهَادَةُ يَا رَسُولَ الله، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (كَلاَّ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! إِنَّ الشَّمْلَةَ لَتَلْتَهِبُ عَلَيْهِ نَارًا، أَخَذَهَا مِنَ الْغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْبَرَ، لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ)، قَالَ: فَفَزِعَ النَّاسُ. فَجَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! أَصَبْتُ يَوْمَ خَيْبَرَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ)[2].

فالحفاظ على المال العام وحمايته هو من الواجبات الشرعية والضرورية التي على المواطن تجاه وطنه، وتُعدُّ

(١) صحيح البخاري (كِتَابُ فَرْضِ الخُمُسِ، بَابُ قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾، حديث رقم: ٣١١٨).

(٢) صحيح البخاري (كتاب الأيمان والنذور، باب هَلْ يَدْخُلُ فِي الأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ الأَرَضُ، وَالغَنَمُ، وَالزُّرُوعُ، وَالأَمْتِعَةُ، حديث رقم: ٦٧٠٧).

مـن الأمانات التـي يجب عليـه أن يؤديها، قال تعـالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [سـورة النساء، الآية ٥٨].

وعـلى مـر العصـور والأزمنـة يتعـرض المـال العـام للاعتـداءات، وإن تغـيرت في الشـكل والطريقة والأسـلوب إلاّ أن مضمونهـا واحـد، ويتمثـل ذلـك في اسـتئثار أحـد الأفـراد بـه وحـده دون حـق، أو انتـزاع ملكيتـه مـن مجمـوع النـاس إليه دون حق، أو سـوء اسـتخدامه أو إتلافـه، أو عدم أداء مـا عليـه مـن حقـوق الدولـة، ويلحـق بذلـك كل مـن يعتـدي عـلى المـال العـام كمـن يـسرق الكهربـاء أو يتلاعب في عـدادات قراءتهـا، أو سرقـة أسـلاكها وأبراجهـا، وكذلك مـن يعتـدي عـلى أمـلاك الدولـة، أو يحتـال عـلى صرف دعم لا يسـتحقه، أو يقـوم بتزويـر البيانـات للحصول عـلى عطاء مـن التموين لا يسـتحقه، أو يحتـال للحصـول على إسـكان مدعـم لا يسـتحقه، فهـؤلاء جميعًا يضيعـون الفرصـة والحق عـلى مسـتحقيه الحقيقيـين، أو اغتصـاب الأرض بوضـع اليد عليهـا ظلـمًا، أو الاعتـداء عـلى أمـلاك الدولـة والأوقاف، فعـن عَائِشَـةَ ﵂ عـن رَسُـولِ الله ﷺ قَـالَ: «مَنْ ظَلَـمَ قِيدَ شِـبْرٍ مِـنَ الأَرْضِ طُوِّقَـهُ مِنْ سَـبْعِ أَرَضِـينَ»[1].

(١) أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغصب، بَابُ إِثْمِ مَنْ ظَلَمَ شَيْئًا مِنَ الأَرْضِ، حديث رقم (٢٤٥٣).

ومن صور الاعتداء على المال العام: التهرب من سداد فاتورة الكهرباء والماء في موعدها، وهذا مرفوض شرعًا؛ لأن ذلك هو مقتضى العقد القائم بين المزودين لهذه الخدمات كشركة الكهرباء، والجهة المزودة بالماء، والمشترك في هذه الخدمات، ولا يجوز التهرب من السداد، فقد أمر الله ﷻ بالوفاء بالعقود في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [سورة المائدة، الآية ١]، فهذه الآية الكريمة عامة تشمل كل العقود والعهود والالتزامات التي يلتزم بها الشخص مع غيره. وفي الحديث الشريف يقول رَسُولُ الله ﷺ: (... والْمُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ إِلاَّ شَرْطًا حَرَّمَ حَلاَلاً أَوْ أَحَلَّ حَرَامًا)[1].

ومما تجب الإشارة إليه أن الاعتداء على المال العام يكون لأسباب شتى من بينها: ضعف القيم الإيمانية والأخلاقية لدى العاملين عليه والمتعاملين به أو معه، من حيث عدم الالتزام بالأمانة والصِّدق، والعِفَّة والنَّزَاهة، وما نجم عن ذلك من الفساد الاجتماعي

(١) أخرجه الترمذي في أبواب الأحكام، بَابُ مَا ذُكِرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الصُّلْحِ بَيْنَ النَّاسِ حديث رقم (١٣٥٢).

والاقتصادي؛ مما يلزم معه ضرورة حماية المال العام من السارقين والمختلسين، والغلولين[1] والمرتشين، والمرابين، ومن أكلة السحت، وممن يأكلون أموال الناس بالباطل، ومن المتربحين من الوظائف العامة نظرًا لتَفَشِّي المحسوبيَّة والمجاملات الشخصيَّة، وممن يتلفون ويسرقون ويضيعون المال والوقت، وممن يستغلون المال العام لمنافعهم ومآربهم الشخصية من دون الناس جميعًا؛ لأنهم سببوا أضرارًا جسيمة بالناس وبالمجتمع وبالوطن، ففي الصحيحين من حديث أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ أن النبي ﷺ اسْتَعْمَلَ رَجُلاً مِنَ الأَزْدِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي قَالَ: (فَهَلاَّ جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ، أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ فَيَنْظُرَ يُهْدَى لَهُ أَمْ لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئًا إِلاَّ جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً

(١) الغلول معناه: السرقة في خفية، وكل المعاني لهذه الكلمة تؤكد أن الغلول هو السرقة من المال العام.

تَيْعَـرُ، ثُـمَّ رَفَعَ بِيَـدِهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْـرَةَ إِبْطَيْـهِ[1] - اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْـتُ اللَّهُـمَّ هَـلْ بَلَّغْـتُ ثَـلاَثً)»[2].

من نماذج الحفاظ على المال العام:

لقـد تربـى أصحـاب رسـول الله ﷺ عـلى الحفاظ عـلى المال العـام ومراعـاة حرمتـه، فها هـو الصديـق ﷺ لما تـولى الخلافة في صبيحـة ولايتـه يخـرج من بيته واضعًـا حبله على عاتقـه ذاهبًا إلى السـوق متاجـرًا ليعيـش من كسـب يـده، فينـادي عليه عمر بـن الخطـاب ﷺ قائـلاً: يا أبـا بكر قـد كفيناك، اجلـس لمصالح المسـلمين، ثـم ينـادي عمـر ﷺ على أبي عبيـدة بن الجـراح أمين الأمـة، ويقـول يـا أبا عبيـدة: اجعـل لأبي بكر مـا يكفيـه وأهله مـن بيـت المـال، فيقـول أبـو عبيـدة: لـه مقـدار شـاة في كل يوم وليلـة، ولـه ثـوب في الصيـف وثـوب في الشـتاء، لا يأخذ ثوب الصيـف إلا إذا سـلم ثـوب الشـتاء، ويسـتمر أبو بكـر ﷺ على هـذا مراعيًـا حـقَّ الأمـة حريصًـا عـلى مالها العـام حتـى نهايـة حياتـه، فعَـنِ الْحَسَـنِ بْـنِ عَـلِيٍّ ﷺ قَـالَ (لَمَّـا احْتُـضِرَ أَبُـو بَكْـرٍ

(١) عُفْـرة الإبط: البياض ليس بالناصع، ولكن كلون عفر الأرض، وهو وجهها، أفاده ابن الأثير في النهاية: ٣/ ١٦٢.

(٢) متفـق عليه، صحيح البخـاري (كتاب الهبة وفضلها والتحريـض عليها، باب من لم يقبل الهدية، حديث٢٥٩٧)، ومسلم (كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال، حديث١٨٣٢).

قَالَ: يَا عَائِشَةُ انْظُرِي اللِّقْحَةَ الَّتِي كُنَّا نَشْرَبُ مِنْ لَبَنِهَا، وَالْجَفْنَةَ الَّتِي كُنَّا نَصْطَبِحُ فِيهَا، وَالْقَطِيفَةَ الَّتِي كُنَّا نَلْبَسُهَا، فَإِنَّا كُنَّا نَنْتَفِعُ بِذَلِكَ حِينَ كُنَّا نَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِذَا مِتُّ فَارْدُدِيهِ إِلَى عُمَرَ، فَلَمَّا مَاتَ أَبُو بَكْرٍ أَرْسَلَتْ بِهِ إِلَى عُمَرَ، فَقَالَ عُمَرُ: رَحِمَكَ اللهُ لَقَدْ أَتْعَبْتَ مَنْ جَاءَ بَعْدَكَ)[1].

ولما تولى الخلافة عمر بن الخطاب ﷺ سار بالمسلمين أعظم سيرة حافظًا لهم ولأموالهم مراعيًا حرمة المال العام حتى إنه سار يومًا فرأى أبقارًا سمانًا فقال: لمن هذه الأبقار ؟ فقالوا له: إنها لعبد الله بن عمر، فقال ﷺ: ضموها إلى بيت المال فو الله ما سمنت إلا باسم أمير المؤمنين، إذا رعت هنا أو هناك قالوا: دعوها إنها أبقار ابن أمير المؤمنين، ردوها إلى بيت المال [2].

فالمال العام إذن مِلْكٌ للناس جميعًا، وليس مِلْكًا لفِئَة معيَّنة من الناس، والقائمون عليه إنَّما هم أُمَناء في حِفْظه وتحصيله، وصَرْفه لأهْله، فلا يحلُّ لأحدٍ أن يعتديَ

(١) رواه الطبراني في الكبير (١/ ٦٠) (٣٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٥/ ٢٣١) رواه الطبراني، ورجاله ثِقات.

(٢) ينظر: الرياض النضرة في مناقب العشرة لأبي العباس، أحمد بن عبد الله بن محمد، محب الدين الطبري (٣/ ٣٧٧).

عليه، أو يأخُذَ منه ما لا يستحقُّ؛ لأن ذلك يعد خيانةً وظُلمًا واعتداءً على المسلمين جميعًا.

ومن يسرق شيئًا من المال العام فهو بذلك يَسْرق من الأصول الرئيسة التي بها حماية وصيانة المجتمع من المجاعات والشدائد والأَزَمات؛ مع العلم أنه بسرقته من المال العام فهو يُخَرِّب في مال نفسه؛ لأنَّ المال العام لكلّ فردٍ نصيبٌ فيه، فمَن اعْتَدى على هذا المال وأخذَ منه شيئًا دون وجْه حقٍّ، فكأنَّما اعتدى على مال نفسه وسَرَقَهُ.

وإذا كان الاعتداء على المال العام - كما أشرنا - يُعد ذنبًا عظيمًا؛ فإن الواجبَ على مَن أخَذَ منه شيئًا أنْ يتوبَ إلى الله ﷻ بأنْ يَرُدَّ ما أخَذَ؛ لأنَّ الأصلَ في المال العام هو المَنْعُ، وهذا الردّ يعتبر من تمام التوبة، فإنْ عجَزَ الإنسان عن إرجاع ما أخَذَ أو سيُسبِّب ذلك له حدوثَ مَفْسدة أكبر بإرجاعها، فإنها تُجْعَل في مَنْفعة عامَّة.

* * *

دعم المنتج الوطني

مَنْزِلَةُ الوطن في قلوب المؤمنين تَحْتَلُّ مكانةً سامية؛ ومن هذا المنطلق كان لزامًا على كل وطني غيور أن يدعم وطنه، ويسانده بكل ما أوتي من قوة مادية أو معنوية، خاصة بدعم منتجاته صناعةً، وزراعةً، وتجارةً، وتسويقًا، واستهلاكًا، والعمل على زيادة الاستثمار، وتطوير المنتجات الوطنية بجميع أنواعها حتى تصبح قادرة على التنافس مع غيرها من المنتجات عالميًّا، والإنسان الوطني هو الذي يقدم منتجات وطنه ويفضلها على غيرها من المنتجات العالمية بيعًا وشراءً واستهلاكًا، فيدعم بكل قوة دولته لتصبح دولة قوية ذات ريادة وقيادة عالميًّا، ولا تكون الريادة لدولة إلا إذا قام أبناؤها بزيادة استثماراتهم، وفتح أسواق جديدة لمنتجاتهم الوطنية في الدول الأخرى، وهذا ما جعل النبي ﷺ بعد أن استقر به الحال في المدينة المنورة يشرع

في إنشاء سوق تجاري في المدينة يمارسون فيه تجارتهم ويدعمون فيه صناعاتهم ومنتجاتهم، فعن الزُّبَيْرُ بْنِ أَبِي أُسَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَوْضِعًا لِلسُّوقِ، أَفَلَا تَنْظُرُ إِلَيْهِ؟ قَالَ: «بَلَى»، فَقَامَ مَعَهُ حَتَّى جَاءَ مَوْضِعَ السُّوقِ، فَلَمَّا رَآهُ أَعْجَبَهُ وَرَكَضَهُ بِرِجْلِهِ، (أي: ضربه برجله) ثُمَّ قَالَ: «نِعْمَ سُوقُكُمْ هَذَا، فَلَا يُنْتَقَصَنَّ وَلَا يُضْرَبَنَّ عَلَيْهِ خَرَاجٌ»[1].

ماذا يعني دعم المنتج الوطني؟

- تشجيع كل ما يتعلق بالاقتصاد الوطني، ولا يتحقق ذلك إلا بدعم أبناء الوطن للشركات والمؤسسات الوطنية بهدف زيادة الإنتاج والاستثمار؛ لتصبح منتجاتهم منافسة للمنتجات العالمية ذات الجودة العالية.
- العمل على تطبيق الأساليب العلمية والأدوات الحديثة، التي كانت سببًا في نجاح المنتجات الأجنبية

(١) المعجم الكبير، الإمام الطبراني، ج ١٩ / ص٢٦٤، رقم ٥٨٦ طبع مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية، القاهرة.

ذات الجودة العالية كالاستعانة بالكفاءات والمهارات في القيادة والتنفيذ ومتابعة العمل، والتوسع في فتح أسواق جديدة.

- التشجيع على شراء وتسويق منتجاتهم المحلية لبث روح الثقة في نفوس أصحاب الشركات والمؤسسات الإنتاجية.

أثر دعم المنتج الوطني:

لدعم المنتج الوطني أثر واضح في تحقق نهضة البلاد واستقرارها، ويرجع ذلك إلى:

أولًا: الإقبال على المنتج الوطني يعمل على تشجيع المؤسسات والشركات المحلية على الابتكار والاستعانة بالمتميزين، والمبتكرين في جميع المجالات، والبحث عن كل ما هو جديد في مجال الإنتاج والتسويق.

ثانيًا: دعم المنتج الوطني هو دعم لاقتصاد البلاد، فكلما زاد الإقبال على المنتجات الوطنية وزاد الاستثمار انعكس ذلك على المواطن إيجابيًا بشكل مباشر أو غير مباشر.

ثالثًا: دعم المنتج الوطني يعمل على تشجيع المستثمرين على زيادة الاستثمار، وفتح أسواق جديدة، وتحقيق التنافس بين المنتجات الوطنية والعالمية ذات الجودة العالية.

رابعًا: دعم المنتج الوطني يعمل على إعلاء شأن الوطن ومكانته بين دول العالم سياسيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا.

خامسًا: دعم المنتج الوطني يعمل على إتاحة فرص عمل جديدة، ويقلل من نسبة البطالة.

سادسًا: دعم المنتج الوطني هو مرتكز أساسي يدفع لبناء دولة قوية ذات سيادة مستقلة، واقتصاد قوي، وينمي في المواطن قيمة الولاء والانتماء إلى الوطن.

دوافع دعم المنتج الوطني:

الانتماء الوطني هو الدافع الرئيس لدعم المنتج، انطلاقًا من كونه لا يتحقق إلا بدفع عجلة التنمية في كل فروعها بالبذل والعمل والتقدم والازدهار[1].

(١) الانتماء والمواطنة وأثرهما في الفرد والمجتمع، إعداد: الإدارة العامة لبحوث الدعوة، ص١ ، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بتصرف.

مظاهر دعم المنتج الوطني

تتنوع مظاهر دعم المنتج الوطني ما بين دعمه زراعيًّا، وصناعيًّا، وتجاريًّا، واستهلاكيًّا:

أولًا: دعم المنتج الوطني زراعيًّا

يكون بدعم الفلاح المصري بكل متطلبات الزراعة من أسمدة وبذور ومبيدات وغيرها بهدف اتساع الرقعة الزراعية، وزيادة الإنتاج، وتحقيق الاكتفاء الذاتي، وعدم الاعتماد على المنتجات الأجنبية لما لها من تأثير سلبي في الاقتصاد الوطني، وإنشاء أسواق وطنية حرة لتسويق المنتجات الزراعية، وحسن عرضها وتسويقها لتمكينها من المنافسة بين السلع المماثلة، ولا يتحقق ذلك إلا بجودة الإنتاج الزراعي.

ثانيًا: دعم المنتج الوطني استهلاكًا

لا يتحقق إلا بعدم الإسراف والتبذير في استهلاك المنتجات كافة؛ لأن الإسلام نهى عن الإسراف كما نهى عن التبذير، فقال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا

يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [سورة الأعراف، الآية ٣١]، وقال جلّ شأنه: ﴿... وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴾[سورة الإسراء، الآيتان ٢٦، ٢٧]، وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ)[1]، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: (كُلْ مَا شِئْتَ وَالْبَسْ وَاشْرَبْ مَا شِئْتَ مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ: سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ)[2].

فعدم التبذير يسهم في تحسن الاقتصاد و يدعم المنتج الوطني استهلاكًا.

ثالثًا: دعم المنتج الوطني صناعة وتجارة

لا يتحقق هذا الدعم إلا بإتقان العمل وجودة الإنتاج؛ فقد جعل الإسلام العمل الجاد سبيلًا للرقي الحضاري والتقدم الدولي، وإعمار الأرض، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ

(١) السُّنن الكبرى للنسائي (كتاب الزكاة، باب الاختيال في الصدقة، حديث ٢٣٥١)، وذكره البخاري معلقًا.

(٢) ذكره البخاري معلقًا في ترجمته لباب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ [سورة الأعراف، الآية ٣٢] من كتاب اللباس.

﴿ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[سورة هود، الآية٦١]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [سورة الملك، الآية ١٥]، وقَالَ ﷺ: (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ)(١).

وكما أمر الإسلام بالعمل وحث عليه، أمر بإتقانه والمحافظة عليه، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[سورة التوبة، الآية١٠٥]، وقَالَ ﷺ: (إِنَّ اللهَ عز وجل يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ)(٢).

وأكد الإسلام أن العمل المتقن تمتد آثاره لصاحبه إلى ما بعد الوفاة، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ)(٣)، وعَنْ عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ الْجَرْمِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي

(١) صحيح البخاري (كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، حديث ٢٠٧٢).
(٢) المعجم الأوسط للإمام الطبراني ج١، ص ٢٧٥ رقم ٨٩٧ طبع دار الحرمين، القاهرة.
(٣) متفق عليه: صحيح البخاري (كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، حديث٢٣٢٠)، ومسلم (كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، حديث ١٥٥٣).

أَبِي كُلَيْبٍ أَنَّهُ شَهِدَ مَعَ أَبِيهِ جَنَازَةً شَهِدَهَا رَسُولُ الله ﷺ وَأَنَا غُلَامٌ أَعْقِلُ وَأَفْهَمُ، فَانْتَهَى بِالْجَنَازَةِ إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُمْكِنْ لَهَا، قَالَ فَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: (سَوُّوا لَحْدَ هَذَا) حَتَّى ظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ سُنَّةٌ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: (أَمَا إِنَّ هَذَا لَا يَنْفَعُ الْمَيِّتَ وَلَا يَضُرُّهُ، وَلَكِنَّ اللهَ يُحِبُّ مِنَ الْعَامِلِ إِذَا عَمِلَ أَنْ يُحْسِنَ)[1]، فالذي لا يتقن عمله ولا يراقب ربه آثم، وخائن لوطنه؛ لما يتسبب فيه من ضياع الأموال وإهدار الطاقات.

ومن صور دعم المنتج الوطني صناعة وتجارة: محاربة الفساد بكل أشكاله والأخذ على يد المفسدين، فقد نهى الإسلام عن الفساد في الأرض بكل صوره وأشكاله، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [سورة الأعراف، الآية ٥٦]، وأخبر ﷻ أنه لا يحب المفسدين، بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[سورة المائدة، الآية ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾

(١) شعب الإيمان للإمام البيهقي، ج٧، ص ٢٣٤ رقم ٤٩٣٢، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض.

[سورة القصص، آية ٧٧]، وأكد القرآن الكريم أن الله ﷻ لا يصلح عمل المفسدين، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة يونس، الآية ٨١].

ومن صور دعم المنتج الوطني:

عدم احتكار السلع والمنتجات، وعدم الغش في البيع والشراء لما يشكلان من خطر على الاقتصاد الوطني، وضرر كبير على الحياة الاجتماعية.

والاحتكار: يعني حبس المنتج والامتناع عن بيعه، بقصد رفع سعره؛ لذا فقد نهى النبي ﷺ عنه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (مَنِ احْتَكَرَ حُكْرَةً، يُرِيدُ أَنْ يُغْلِيَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَهُوَ خَاطِئٌ)[1].

والمحتكر على مر التاريخ يتاجر بأقوات الناس، ويتلاعب بحاجاتهم التي لا يستطيعون العيش بدونها، فعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: (مَنِ احْتَكَرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ طَعَامَهُمْ، ضَرَبَهُ الله

(١) مسند أحمد، ج١٤، ص ٢٦٥ رقم ٨٦١٧ الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة.

بِالْجُذَامِ وَالْإِفْلَاسِ)[1]، وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنِ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَبَرِئَ اللهُ تَعَالَى مِنْهُ، وَأَيُّمَا أَهْلُ عَرْصَةٍ أَصْبَحَ فِيهِمُ امْرُؤٌ جَائِعٌ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللهِ تَعَالَى)[2]. كما أكد النبي ﷺ أن المحتكر ملعون، فعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ وَالْمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ)[3].

ومن صور دعم المنتج الوطني:

عدم الغش في السلعة أو الجودة أو الثمن، فكان ﷺ يراقب حركة السوق بيعًا وشراءً، وهذا ما بينه حين مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً، فَقَالَ: (مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟) قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ، فقَالَ: أَفَلا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ

(١) سُنن ابن ماجه، ج١٤، ص٢٦٥ رقم ٢١٥٥.
(٢) مسند أحمد، ج ٨، ص ٤٨١ رقم ٤٨٧٩.
(٣) سُنن ابن ماجه، ج ٣، ص ٢٨٢ رقم ٢١٥٤.

النَّاسُ؟ ثُمَّ قَالَ: (مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي)[1]، وكما يكون الغش في السلعة والجودة يكون في المقدار والوزن أيضًا، وقد حذر النبي ﷺ من ذلك، فعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُبَيْدِ ابْنِ رِفَاعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمُصَلَّى، فَرَأَى النَّاسَ يَتَبَايَعُونَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ، فَاسْتَجَابُوا لِرَسُولِ الله ﷺ، وَرَفَعُوا أَعْنَاقَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ إِلَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ فُجَّارًا، إِلاَّ مَنْ اتَّقَى الله، وَبَرَّ، وَصَدَقَ)[2].

ومن صور دعم المنتج الوطني:

مواجهة الأفكار والدعوات الهدامة التي تَهدم ولا تبني، وتُفسد ولا تُصلح، فقد نسمع من بعض المتنطعين بعض الدعوات الهدامة من أفراد أو جماعات مختلة عقولهم، تظاهروا بحب الوطن، والوطن منهم براء، إنهم أصحاب فكر متطرف، هدفهم تفكيك المجتمع وزعزعة أمنه، وإسقاط الدولة والنيل من استقرارها، فتارة يدعون

(١) صحيح مسلِم (كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «من غشنا فليس منا»، حديث ١٠٢).
(٢) سُنن الترمذي، ج ٢، ص ٥٠٦ رقم ١٢١٠.

إلى تعطيل مسيرة العمل ووقف عجلة الإنتاج، وتارة يشوهون المنتج الوطني بدعوى عدم جودته، وتارة يشوهون صورة القائمين عليه، كل ذلك لتحقيق أهدافهم المشبوهة من هدم وتخريب، وإضعاف الدولة بكل مؤسساتها، وإضعاف اقتصادها.

* * *

مواجهة الشائعات

مفهوم الشائعة:

الشائعة لغة: هي من الفعل شاع، يقال: شاع الخبر بين الناس يشيع شيوعًا فهو شائع؛ أي: انتشر، وافترق، وذاع، وظهر، والشائع: المنتشر، وأشاع الأمر: أظهره، وهذا خبر شائع، وقد شاع في الناس، معناه: قد اتصل بكل أحد؛ فاستوى علم الناس به، ولم يكن علمه عند بعضهم دون بعض[1].

وفي الاصطلاح هي: ترويج لخبر مختلق لا أساس له من الواقع، أو تعمد المبالغة والتهويل، أو التشويه في سرد خبر فيه جانب ضئيل من الحقيقة؛ وذلك بهدف التأثير في الرأي العام المحلي، أو الإقليمي، أو النوعي؛ تحقيقًا لأهداف سياسية، أو اقتصادية،

(١) لسان العرب، لأبي الفضل ابن منظور، ٨/ ١٧٧.

أو حربيـة، عـلى نطـاق دولـة واحـدة، أو عـدة دول، أو النطـاق العالمـي بأجمعـه[1].

فالشـائعة: خـبر مكـذوب يهـدف إلى التأثـير في الغـير لأغـراض خبيثـة، لا تعـود بنفع عـلى المجتمـع، أو الدولة.

مصطلح الشائعات في القرآن الكريم:

جـاءت الشـائعة في القـرآن الكريـم بألفـاظ متعـددة، لكنهـا تتفـق في المعني؛ وهو الظهـور والانتشـار، وكلها في موضـع الـذم، مـن ذلك:

(أ) الشـائعة: قال الله تعـالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [سـورة النـور، الآيـة ١٩]، والمقصـود: محبـة شـيوع خـبر الخصلة الفاحشـة بـين عامة النـاس[2].

(ب) الإذاعـة: قـال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾[سـورة النسـاء، الآيـة ٨٣]، أي: أذاعـوه، وأفشـوه، ولم يكتمـوه، وذلـك أن النبـي ﷺ

(١) الرأي العام والحرب النفسية، مختار محمد المهدي، ص ١٢٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م.
(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الإمام الأكبر أ. د. محمد سيد طنطاوي، ١٠/ ١٠٠.

كان يبعث السرايا، فإذا غَلبوا، أو غُلبوا، بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم، فيفشونه، ويحدثون به قبل أن يحدث به رسول الله ﷺ، فيضعفون به قلوب المؤمنين.

(جـ) الإفاضة: قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور، الآية ١٤]؛ أي: فيما أطلتم الحديث فيه، وأشعتموه بالباطل بين الناس من حديث الإفك[1].

(د) الإرجاف: قال الله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية ٦٠]، أرجف في الناس، أو في المدينة؛ أي: خاض في الفتنة، وأشاع الأخبار المقلقة السيئة التي توقع الناس في الاضطراب[2].

مصطلح الشائعات في السُّنَّة النبوية:

جاء الفعل (شاع) في السُّنَّة النبوية مستعملًا في معناه الحقيقي؛ بمعنى: الانتشار، والظهور، ومن ذلك:

(١) القاموس القويم للقرآن الكريم، إبراهيم عبد الفتاح، ٢/ ٩٣.
(٢) السابق، ١/ ٢٥٧.

ـ عن أبي ذر ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ أَشَادَ عَلَى مُسْلِمٍ عَوْرَةً يَشِينُهُ بِهَا بِغَيْرِ حَقٍّ شَانَهُ اللهُ بِهَا فِي الْحَقِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[1]؛ والمعنى: (من أشاد)؛ أي: أشاع، من شاد البناء إذا طوّله، استعير للإشاعة بالقول، (على مسلم): كأنه للأغلب، وإلا فعرض الذمي محترم كدمه، (عورة): هي كل ما يستهجن إشاعته، (يَشينه): يعيبه بذكرها، وإن كانت صادقة، فإن ستر عورة المسلم واجبة (بغير حق)، أي: إشاعة ملتبسة بغير حق[2].

الشائعات ظاهرة اجتماعية موجودة مع وجود الإنسانية:

لا يكاد يخلو مجتمع من المجتمعات من هذه الظاهرة السيئة، غير الأخلاقية، عبر العصور، وفي مختلف البيئات، بغض النظر عن طبيعة البيئة التي تحكم حياتنا الاجتماعية، وهي أقدم الوسائل الإعلامية في التاريخ[3].

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٩٢١١)، الجامع الصغير، الإمام السيوطي: برقم (٨٤٣٩).
(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، الأمير الصنعاني: ١٠/ ١٠٠.
(٣) الوسيلة الإعلامية الأقدم في العالم، جان نويل كابفرير: الشائعات، ص١٢، ترجمة: تانيا ناجيا، دار الساقي، لبنان، ٢٠٠٧.

ولقد تعددت صورها وأشكالها على مر العصور والأزمان، فلم تعد تقتصر على الكلمة المسموعة فحسب؛ بل تعدتها إلى الكلمة المكتوبة، وكذلك المرئية، والتقنية الحديثة من الإنترنت، أو شبكات التواصل الاجتماعي التي ربطت الكلمة بالصورة، فجعلتها أكثر رواجًا، وأبلغ تأثيرًا.

ومن خصائص الشائعة الإلكترونية ما يلي[1]:

- السرعة؛ حيث أصبحت الشائعة لا تستغرق وقتًا.
- الانتشار؛ وذلك لتعدد وسائل الاستخدام، مع شرائح المجتمع كافة في العالم.
- قلة التكلفة؛ فلا تحتاج إلى نفقات لتوزيعها.
- التأثير الكبير في الجمهور المستهدف؛ لارتباطها بالصورة، والفيديو.
- التفاعل عن بُعد؛ فلا أثر لبعد المسافات، أو البلدان، حيث أصبح العالم بين يديك.

(١) المصداقية في الفيسبوك بين الخبر والإشاعة...، د. نصر الدين مزاري: مجلة آفاق العلوم، ص٢١٩ بتصرف، جامعة الجلفة، الجزائر، ٢٠٢٠م.

ـ صعوبة معرفة مصدرها؛ وهذه أخطر ما فيها؛ بسبب الحسابات الوهمية.

مخاطر الشائعات:

الشائعات تؤثر سلبًا في النفوس والعقول، كما تؤثر في الأفكار والمعتقدات، فتنشر الأفكار الهدَّامة، والمعتقدات الفاسدة، وتضعف الثقة بين الناس، فترى الأمة الواحدة، بل والأسرة الواحدة - بسبب الشائعات - يشكك بعضهم في بعض، ويخوّن بعضهم بعضًا، فكانت الشائعات لها خطورتها على كل المستويات:

أولًا: خطورة الشائعات على المستوى الديني

هذا صراع قديم، اشترك فيه كل من لم يستجب لمنهج الله تعالى، ولم يتبع الأنبياء، فحاولوا تشويه الرسالة الإلهية، وتقبيح صورة الأنبياء في قلوب الناس، حتى لا يتبعوهم فيؤمنوا، فأشاعوا عن سيدنا نوح عليه السلام أنه في ضلال مبين، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ

أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[سورة الأعراف، الآيتان ٥٩، ٦٠]، وحاولوا صرف الناس عنه، قال سبحانه: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [سورة المؤمنون، الآية ٢٤]، كما أشاعوا عن سيدنا هود عليه السلام أنه أُصيب في عقله، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [سورة هود، الآيتان ٥٣، ٥٤] (١).

كما أشاع المشركون على النبي ﷺ أنه - وحاشاه - ساحر، أو مجنون، وهذا منهج غير المؤمنين مع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، فقال تعالى تسلية لسيدنا محمد ﷺ: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾[سورة الذاريات، الآية ٥٢].

(١) الإشاعة وأثرها على الفرد والمجتمع، صفاء عباس، مجلة البحث العلمي كلية البنات - جامعة عين شمس، ٢٠١٩م، ع٢٠، ج ٨، ص١٤، ١٥ بتصرف.

ثانيًا: خطورة الشائعات على المستوى الاجتماعي

إن المغرضين لا يعجبهم وحدة الصف الداخلي للمجتمع، ولا يرضيهم تماسك جميع طبقات الشعب؛ فيحاولون بكل وسيلة بثَّ الإشاعات، ومن المخاطر المترتبة على ذلك ما يلي[1]:

- إثارة الحقد والكراهية بين أفراد المجتمع؛ حيث تعتمد الشائعة على إثارة الأكاذيب والوقيعة بين أفراد المجتمع، فتتضارب المصالح، وتتصارع الأجيال، وربما تدفع إلى القطيعة والتباعد، فيصبح المجتمع الواحد فئات متعددة.
- التضليل؛ فيتعرض المجتمع إلى حدوث بلبلة تحول دون التعرف على صحة وحقيقة الشائعة؛ مما يُفسح المجال لانتشار الأكاذيب، والأخبار التي تبث طاقات سيئة في المجتمع.
- إثارة الرعب؛ حيث تؤدي إلى حالة من الخوف على حياة الإنسان، وحاجته للبقاء.

(١) الإشاعة ومخاطرها على ولاة الأمر والأمن القومي، أيمن فتحي محمد عبد النظير: مجلة كلية التجارة للبحوث العلمية | جامعة أسيوط، ٢٠٢٠م، ع ٦٨، ص ١٥٩ بتصرف.

- إفساد الأخلاق؛ حيث تؤدي إلى انهيار المجتمعات بفساد أخلاق أبنائها، ويجترئ الناس على الخطأ.

- السيطرة على الاتجاهات الشعبية، وزعزعة الوحدة الفكرية، والانتماء، والتماسك المجتمعي، ودعم الاتجاهات المعادية لبث روح الفرقة واليأس بين الصفوف[1].

ثالثًا: مخاطر الشائعات على المستوى الاقتصادي

الاقتصاد عصب الحياة، وله أهمية قصوى على المستوى العام، حيث إنه «يلعب دورًا رئيسًا في الحياة اليومية للأفراد، ويتناول كل كبيرة وصغيرة في شئون حياتهم من إنتاج، واستهلاك، وتوزيع»[2]، كما أنه أحد أهم دعائم الدول، والإضرار به يؤدي إلى حدوث خلل في الجوانب السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والجوانب الأخرى للدولة.

(١) أثر الشائعات في تفكيك المجتمعات وسُبل المواجهة والاستقرار في الشريعة الإسلامية، د. هاني كمال جعفر: ص١٠ بتصرف، دراسة استقرائية فقهية، بحث مقدم للمؤتمر العلمي السادس «القانون والشائعات»، كلية الحقوق - جامعة طنطا، يومي ٢٢ -٢٣ إبريل ٢٠١٩م.

(٢) مبادئ علم الاقتصاد، د. خديجة الأعسر، ص ٩، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، دون بيانات.

ومن المخاطر المترتبة على ذلك ما يلي[1]:

- تقويض النمو الاقتصادي؛ حيث يتحول المجتمع إلى السكون والدعة، فلا ينمو اقتصاديًّا؛ لأن المال والخوف لا يلتقيان، فتحبس الأموال، ويتعطل الاقتصاد.

- انخفاض قيمة العملة؛ وذلك بانخفاض معدل الصادرات؛ ومن ثم زيادة معدل التضخم، وانخفاض الدخل الحقيقي للفرد.

- زيادة البطالة؛ وذلك لعجز الشركات القائمة على التوسع، وعدم قدرتها على إنشاء شركات جديدة.

رابعًا: مخاطر الشائعات على المستوى الأمني:

تهدد الشائعات الاصطفاف الوطني، وتزعزع الروح المعنوية للجيش، وتستدعي الهزيمة النفسية، ومن المواقف التي ظهر خلالها خطورة الشائعة في هذا الجانب ما يلي:

(١) أثر الشائعات في تفكيك المجتمعات وسُبل المواجهة والاستقرار في الشريعة الإسلامية، د. هاني كمال جعفر، ص١٦٤ بتصرف.

(١) في يوم أُحُد سنة (٣هـ): أشاع المشركون في أرض المعركة أن النبي ﷺ قد قُتِلَ، وكانت هذه الشائعة من أشد ما أدخل الرعب في قلوب بعض المسلمين، وقالوا: فما مقامنا إذا كان قد قتل الرسول؟ وذهبوا يولون الأدبار، وجعل أنس بن النضر رضي الله عنه يقول: بل ما فائدة حياتكم بعد رسول الله ﷺ؟ ثم أتى إلى ضعاف الإيمان قائلا: اللهم إني أبرأ إليك مما فعل هؤلاء، وأعتذر إليك مما يقول هؤلاء، وانطلق فشد بسيفه على المشركين حتى قُتل[1]، فانظر إلى يقظة ووعي سيدنا أنس رضي الله عنه لتلك المقولة الخطيرة، وإدبارهم من ساحة المعركة.

(٢) في صلح الحديبية سنة (٦هـ): أرسل النبي ﷺ سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى مكة ليبلغ أبا سفيان وأشراف قريش أن رسول الله ﷺ لم يأتِ لحرب؛ وإنما جاء زائرًا لهذا البيت ومعظمًا لحرمته، ففعل ذلك سيدنا عثمان رضي الله عنه، فقال له أهل مكة: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف، فقال: ما كنت لأفعل حتى

(١) فقه السيرة، د. البوطي، ص١٨٧.

يطوف به رسول الله ﷺ، واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قد قتل، فقال ﷺ: (لَا نَبْرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ الْقَوْمَ، فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ)، ولما تمت البيعة جاء عثمان ﷺ، فبايعه، فبسبب الشائعة كادت أن تتورط الدولة في حرب شديدة، دون استعداد تام لها عدةً وعددًا.

حكم الشائعات:

للشائعات أضرارها البالغة على الفرد والمجتمع والدول؛ ومن ثم فالضرر محرم، وقد قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق، الآية ١٨]، وقال ﷺ: (لَا ضَرَرَ، وَلَا ضِرَار)[١]، وقال أيضًا: (إِنَّ مِن أَرْبَى الرِّبا الاستطَالَةَ فِي عِرضِ المُسلمِ بغيرِ حَقٍّ)[٢]، فهو أشد تحريمًا، والربا محرم باتفاق، فإشاعة أسرار المسلمين وأمورهم الداخلية حرام[٣].

(١) الموطأ الإمام مالك، كتاب الأقضية، القضاء في المرفق، برقم (٢١٧١).
(٢) سُنن أبي داوود، أول كتاب الأدب، باب في الغيبة، برقم (٢٨٧٦).
(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية، ٢٦/ ٢٨٩.

مواجهة الشائعات:

المجتمعات القوية المتماسكة المترابطة لا يمكن أن تضع رأسها في الرمال، والمواجهة تعني: الوقوف وجهًا لوجه، والتصدي للتصرف بالإبطال بجرأة وشجاعة[1]، كما أن مكافحة الشائعة لا تقع على عاتق جهة أو مؤسسة بعينها؛ بل هي مسئولية تضامنية، يشترك فيها كل فَرْدٍ واعٍ في الأمة.

تتعدد طرق وسبل المواجهة للشائعات، وتتمثل في نوعين:

الأساليب الوقائية: وهي كالتحصين والتطعيم ضد الأمراض، وتكون قبل وقوع الشائعات، فإذا ما حدثت لم تجد من يسمعها، أو يُعِرها اهتمامًا، فضلًا عن ترديدها، وذلك أن بعض الناس يترك نفسه فريسة للشائعات والأخبار الكاذبة، وقد قال الله تعالى محذرًا المؤمنين: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة، الآية ٤٧]، ومن ذلك[2]:

(١) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس وآخرون: ٤٦٧.
(٢) الإشاعة ومخاطرها...، أيمن فتحي محمد عبد النظير، ص١٣٥ بتصرف.

أولًا: دور أجهزة الدولة في حماية المجتمع من الشائعات

وذلك على المستويات كافة من العناصر الضارة الذين يحاولون أن يؤثروا بشكل سلبي في المجتمع، خاصة في بعض أفراد المجتمع من ذوي المستوى الثقافي المنخفض.

ثانيًا: دور المؤسسات التربوية، ومن أهمها:

الأسرة: هي اللبنة الأولى في المجتمع، وتبدأ من الوالدين بتعليم الأبناء التمسك بالدين، والأخلاق، وحب الوطن، وأن تحذرهم ممن يقلل من قيمة ذلك، أو يشكك فيها، وذلك من خلال:

قيام الأسرة بالدور المباشر في تربية أبنائها تربية إسلامية صحيحة، وتوعيتهم من أي فكرٍ منحرف، حتى يخرج جيل سليم فكريًّا، مع سلامته جسديًّا، انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ... ﴾ [سورة التحريم، الآية ٦]، ومن قول النبي ﷺ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ،... وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي

أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا...)[1].

المتابعة الجيدة لصداقات الأبناء: إذ لها تأثيرها في توجيه السلوك، انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الزخرف، الآية٦٧]، وقوله ﷺ: (مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً)[2].

المدرسة: على أن تقوم برعاية القيم الفاضلة للمجتمع، وإكساب المعارف، وفهم حقوق المواطنة، والقدرة على التفكير الواعي السليم.

---

(١) متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، (٩/ ٦٢)،٩٣-كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: و(أطيعوا الله وأطيعوا الرسول...)، الحديث رقم (٧١٣٨)، والإمام مسلم في صحيحه، (٣/ ١٤٥٩)،٣٣-كتاب الإمارة، ٥-باب فضيلة الإمام العادل...، الحديث رقم (١٨٢٩)، عن ابن عمر ﷺ.

(٢) متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، (٣/ ٦٣)،٣٤- كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك، الحديث رقم (٢١٠١)، والإمام مسلم في صحيحه، (٤/ ٢٠٢٦)،٤٥- كتاب البر والصلة والآداب، ٤٥- باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، الحديث رقم (٢٦٢٨)، عن أبي موسى الأشعري ﷺ.

التعليم الجامعي: له أهمية كبيرة في فتح منافذ العقل أمام العلوم المختلفة، وتعويد الشباب على النقد البنَّاء، القائم على أسس العقل المنضبط المسئول، وذلك لأن «رسالة الجامعة هي تأمين الفكر المجتمعي من كل عبث، وتأمين الحياة المجتمعية بمدِّ المجتمع بالعقول السليمة حاملة الوعي والعلم، وهي التي تُصدِّر للمجتمع العقول والسواعد التي تبني وتُعمِّر»[1].

دور العبادة: بتوعية جمهور المُتَعَبِّدين من مخاطر الشائعات، وآثارها السلبية في المجتمع، وتفكيك المغالطات بالمنطق والعقل.

الأساليب العلاجية:

هي الطرق التي تكون بعد وقوع أية شائعة في المجتمع، وتتمثل فيما يلي:

بعض الأمور التي وجهنا إليها الإسلام في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية المطهرة، ومنها:

(١) دور الجامعات في تفكيك الفكر المتطرف، د. مهجة غالب، ص١٦٥، بحث ضمن كتاب «نحو تفكيك الفكر المتطرف».

حسن الظن بالآخرين، قال تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة النور، الآية ١٢]، فالمؤمن لا يسيء الظن بأحد، ويحمل ما يصدر عن الآخرين على محمل حسن، وأيضًا عدم التسرع في إصدار الأحكام على الآخرين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[سورة النساء، الآية٩٤]، فكرر لفظ التَّبَيُّن مرتين لأهميته.

وجوب التثبت من الأخبار قبل نشرها في المجتمع، وهذا أدب قرآني، وأمر إلهي، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[سورة الحجرات، الآية ٦].

إماتة الشائعة، وعدم الإسهام في إعادة ترويجها، أو نقلها، يقول تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا

لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾[سورة النور، الآيتان ١٥، ١٦]، ومعنى قوله تعالى:﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾؛ أي: إذ تأخذونه بِأَلْسِنَتِكُمْ بأن يقول بعضُكم لبعض، حتى شاع فيما بينكم وانتشر، فلم يبق بيت ولا نادٍ إلا طار فيه.

الرجوع إلى أهل الخبرة والاختصاص: قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل، الآيتان ٤٣، ٤٤]، فشرع السؤال عند عدم العلم، وجعل السؤال لصنف خاص، وليس لكل الناس.

ضرورة وضع إطار قانوني خاص بالوسائل التقنية الحديثة، وشبكات التواصل الاجتماعي بفرض الرقابة على مضامينها.

لا بد من إدراك خطورة الشائعات على البلاد والعباد، وماذا يراد بنا من أعدائنا، وكيف ننجوا من هذه المخططات

المهلكة، ومن أغراضهم ومآربهم التي أصبحت ظاهرة، ومن أساليبهم المشبوهة؛ من تشويه الرموز الوطنية، وتقليل حجم الإنجازات، ومحاولة إيقاع الفتن بين أبناء الأمة الواحدة، وقد نجح الأعداء في استقطاب بعض أصحاب المآرب الشخصية، والباحثين عن السلطة، كما اغتر بهم بعض ضعيفي الإيمان، ومحدودي الثقافة الدينية، فلم يحافظوا على نقاء الدين، ولم يسهموا في بناء دولة قوية قائمة على مكارم الأخلاق.

* * *

فضل الشهادة في سبيل الوطن

إنّ معرفة فضل الوطن على الإنسان هو جزءٌ من عقيدة المسلم، وحتّى يكون الإنسان صحيح العقيدة يجب أن يكون عارفًا بفضل وطنه عليه، ذلك بأنّ المسلم لا يقابل الإحسان إلا بالإحسان، وكم أحسن الوطن إليه حين رعاه وليدًا صغيرًا، فأعطاه هويّته وجنسيّته، وكم أحسن إليه كذلك حين وفّر له متطلبات العيش الكريم.

ففضل الوطن لا حدَّ له، فهو يكفل حقوق أبنائه في كل مكانٍ وزمان، فالإنسان الذي لا يملك وطنًا هو إنسان مهضوم الحقوق؛ لأنَّ الوطن يفتح له الأبواب والآفاق ويجعل منه كائنًا محترمًا، كما أنَّ الوطن يتكفل بحماية أبنائه في الداخل والخارج، ويُقدّم لهم خدمات التعليم والعمل والصحة وممارسة الشعائر الدينية والأنشطة الترفيهية وغير ذلك، كما أن الإنسان يكتسب من وطنه جميع عاداته وتقاليده وتراثه، ويتعلّم منه

كيف يبني مستقبله، ويُعزز لديه الانتماء إليه، لهذا يجب على الإنسان أن يجعل وطنه في قمة أولوياته، وأن لا ينسى فضله عليه أبدًا، فحتى الطيور والحيوانات تنتمي إلى أوطانها، وتعود إليها مهما هاجرت.

فلم يعرف التاريخ بقعة على وجه الأرض هي مهد الحضارات، وأرض العلم، وشمس الروحانيّة، وموطن الصالحين، وقبلة العظماء والعلماء، كوطننا مصر الذى جَمَعَ المجد من كافة أطرافه، واستطاع أن يحفر اسمه بحروف من ذهب على صفحات التاريخ، حتى باتت هذه البقعة الأكثر تميّزًا، وألقًا، وإشراقًا من بين سائر بقاع الأرض، ولا يزال الخير باقيًا فيها إلى آخر الدهر، بحفظ الله ﷻ القائل في كتابه العزيز: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[سورة يوسف، الآية ٩٩]، ولقد كتب الله للشهداء في سبيل الوطن أعلى الجنان، وللمدافعين عن أوطانهم النصر والرضوان، فإن الله تعالى اصطفى شهداء الوطن الأبرار، فالشهادة في سبيله سبحانه اختيار واصطفاء، قال ﷻ: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٤٠].

تعريف الشهيد لغة:

«شهد»: الشين والهاء والدال أصل يدل على حضور وعلم وإعلام. تقول: شَهِدَ، أو شَهْدَ، وشَهِده شُهودًا فهو شاهد. والشهيد: الشاهد، والأمين في شهادة، والذي لا يغيب عن علمه شيء، والقتيل في سبيل الله، فهو فَعيل بمعنى فَاعل ومعنى مَفعول على اختلاف التأويل. والجمع شهداء، والاسم الشهادة[1].

تعريف الشهيد اصطلاحًا:

للشهيد تعريفات كثيرة يمكن إجمالها في أنه: «من قتل دفاعًا عن دينه أو نفسه أو أهله أو عرضه أو ماله أو وطنه» والوطن جامع الدين والأهل والعرض والمال.

أصناف الشهداء في سبيل الله:

١ـ عن سيدنا جابر بن عتيك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (... الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَى القَتْلِ فِي سَبِيلِ الله عز وجل:

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج٣، ص٢٢١، المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٢٦٩، ولسان العرب، ابن منظور، ج٤، ص٢٣٥٠، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص٣٧٢.

المَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالمَبْطُونُ شَهِيدٌ، والغَرِيقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الجَنْبِ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الحَرَقِ شَهِيدٌ، وَالمَرْأَةُ تَمُوْتُ بِجُمْعٍ شَهِيدَةٌ)[1].

٢ـ وعن سيدنا سعيد بن زَيْد رضي الله عنه قالَ: سَمِعْتُ رسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: (مَنْ قُتِلَ دُونَ مالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَن قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِل دونَ أهلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ)[2].

والدفاع عن الوطن من أعظم الطاعات منزلةً، وأرفعها مكانةً، وأكثرها بذلًا وعطاءً، وأخلدها ذكرًا وثناءً، وقد كان عليه السلام أسرع الناس إلى الدفاع عن وطنه، والذود عن حياضه، فحين فزع أهل المدينة ذات ليلة، انطلق ناس نحو الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعًا، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرسه يقول: (تُراعُوا، لَمْ تُراعُوا) أي: لا تخافوا[3].

وقد ضحى شهداء الوطن الأوفياء بحياتهم دفاعًا عن دينهم وأهليهم ووطنهم ومقدرات بلادهم، وإنجازات

(١) سُنن أبي داود، كتاب الجنائز – باب فضل من مات في الطاعون، حديث ٣١١١.
(٢) سُنن الترمذي، كتاب الديات – باب: ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد، حديث رقم ١٤٢١.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير – باب: إذا فزعوا بالليل، حديث رقم ٣٠٤٠.

شعبهم، فلبى أبطال الوطن نداء الواجب، وأدركوا أن التقصير في حمايته والذود عنه من العظائم، فبذلوا في سبيله المهج والكرائم، لقد سمت غايتهم، وعلا هدفهم، ورغبوا فيما أعده لهم ربهم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ٥ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ﴾[سورة محمد، الآيات ٤-٦].

فضل الشهيد ومكانته وإكرام الله تعالى له:

لقد أكرم الله الشهداء أيما إكرام، فمن الكرامات التي أعدها الله للشهيد:

تخفيف ألم القتل عن الشهيد:

فمن رحمة الله بهذا العبد المخلص المجاهد أن يُهَوِّن عليه الألم فلا يجد ألمًا لما يصيبه من القتل، إلا شيئًا يسيرًا: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مَسَّ الْقَتْلِ إِلاَّ كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مَسَّ الْقَرْصَةِ)[1].

(١) رواه الترمذي، في كتاب الجهاد- باب: فضل الشهادة في سبيل الله، حديث ٢٨٠٢، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. والنسائي في كتاب الجهاد – باب: ما يجد الشهيد من الألم، حديث ٣١٦١.

تَجِبُ له الجنة بمجرد الشهادة:

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[سورة التوبة، الآية ١١١]، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ: (فِي الْجَنَّةِ)[1]، فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ.

بل هو في الدرجات العلا من الجنة، عن سيدنا أنس ابن مالك رضي الله عنه أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ ابْنِ سُرَاقَةَ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ الله أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ؟ وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ. قَالَ: (يَا أُمَّ حَارِثَةَ، إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى)[2].

يُغْفَر للشهيد ذنوبُه مع أول قطرةٍ من دمه:

من كرامة الشهيد على ربه أن يغفر الله ذنوبَه وخطاياه

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي - باب: غزوة أحد، حديث ٣٨٢٠.
(٢) أخرجه البخاري فى كتاب: الجهاد والسير - باب: من أتاه سهم غرب فقتله، حديث رقم ٢٦٥٤.

كلها، عن سهل بن حنيف ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ أَوَّلَ مَا يُهْرَاقُ مِنْ دَمِ الشَّهِيدِ يُغْفَرُ لَهُ ذُنُوبُهُ)[1].

يُزوَّج من الحور العين قبل أن تجف دماؤه:

من ضحى بنفسه لرفعة وطنه وعزته؛ طمعًا فيما عند الله؛ ورغبةً في إعلاء كلمة الله لحقيق بهذه الكرامة الإلهية والمنحة الربانية، فلا يكاد دمه يسيل حتى يكون قد زُفَّ إلى الحور العين، فعن سيدنا أبي هريرة ﷺ قال: ذُكِرَ الشُّهَدَاءُ عِنْدَ النبي ﷺ، فَقَالَ: (لاَ تَجِفُّ الأَرْضُ مِنْ دَمِ الشَّهِيدِ حَتَّى تَبْتَدِرَهُ زَوْجَتَاهُ كَأَنَّهُمَا ظِئْرَانِ) يعني: مرضعتين (أَضَلَّتَا فَصِيلَيْهِمَا فِي بَرَاحٍ مِنَ الأَرْضِ، وَفِي يَدِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا حُلَّةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)[2].

تمني الشهيد أن يعود للدنيا ليستشهد ثانية في سبيل الله ﷻ وكلام الله تعالى له كفاحًا:

---

(١) أخرجه الحاكم (أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري) في المستدرك على الصحيحين، ط. دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٢م ١/ ٣٠٥، حديث رقم ١٠٥٧.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، (كتاب الجهاد، ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه، حديث رقم ١٩٣٢٢) تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد ـ الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

عن سيدنا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: (لَقِيَنِي رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ لِي: يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله اسْتُشْهِدَ أَبِي قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ عِيَالاً وَدَيْنًا، قَالَ: أَفَلا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ الله بِهِ أَبَاكَ ؟ قَالَ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهَّ، قَالَ: مَا كَلَّمَ الله أَحَدًا قَطُّ إِلا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا، فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً، قَالَ الرَّبُّ ﷻ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لا يُرْجَعُونَ، قَالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا .. الآيَةَ﴾)[1].

تُظَلِّله الملائكة بأجنحتها:

عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: لَمَّا قُتِلَ أَبِي (يعني في يوم أُحُد) جَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ أَبْكِي وَيَنْهَوْنِي عَنْهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يَنْهَانِي، فَجَعَلَتْ عَمَّتِي

(١) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن - باب: من تفسير سورة آل عمران، حديث رقم٣٠١٠.

فَاطِمَـةُ تَبْكِـي، فَقَـالَ النَّبِـيُّ ﷺ: (تبْكِـينَ أَوْ لَا تَبْكِـينَ، مَـا زَالَـتْ الْمَلَائِكَـةُ تُظِلُّـهُ بِأَجْنِحَتِهَـا حَتَّـى رَفَعْتُمُـوهُ)[1].

يُحفظ من فتنة القبر:

عَـنْ رَجُـلٍ مِـنْ أَصْحَـابِ النَّبِـيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَـالَ: يَا رَسُـولَ الله مَا بَالُ الْمُؤْمِنِـينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّـهِيدَ؟ قَـالَ: (كَفَى بِبَارِقَةِ السُّـيُوفِ عَـلَى رَأْسِـهِ فِتْنَةً)[2].

تطير روحه في الجنة وتَعْلُق بأغصانها حيث شاءت:

الشـهيد تُحَلِّـقُ روحُـه في ريـاض الجنـة وتـسرح فيهـا حيث شـاءت، حتـى تُرَدُّ إلى جسـدها يـوم القيامـة، فتنال الجائـزة الكـبرى والفـوز العظيـم، عَـنْ مَـسْرُوقٍ قَـالَ: سَـأَلْنَا عَبْـدَ الله (يعنـي: ابـن مسـعود رضي الله عنه)عَنْ هَـذِهِ الآيَةِ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ قَـالَ: أَمَـا إِنَّـا قَـدْ سَـأَلْنَا عَنْ ذَلِـكَ (يعني سـألوا رسـول الله ﷺ، فَقَـالَ: (أَرْوَاحُهُـمْ فِي جَـوْفِ طَيْرٍ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب: الدخول على الميت إذا أدرج في كفنه، حديث رقم ١٢٤٤.
(٢) أخرجه النسائي في كتاب الجنائز، حديث رقم٢٠٥٣.

خُـضْرٍ، لَهَـا قَنَادِيـلُ مُعَلَّقَـةٌ بِالْعَـرْشِ، تَـسْرَحُ مِـنَ الْجَنَّـةِ حَيْـثُ شَـاءَتْ، ثُـمَّ تَـأْوِي إِلَى تِلْـكَ الْقَنَادِيـلِ، فَاطَّلَـعَ إِلَيْهِـمْ رَبُّهُـمُ اطِّلَاعَـةً فَقَـالَ: هَلْ تَشْـتَهُونَ شَـيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْـتَهِي وَنَحْـنُ نَـسْرَحُ مِـنَ الْجَنَّـةِ حَيْثُ شِـئْنَا؟ فَفَعَـلَ ذَلِكَ بِهِـمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَـمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَـنْ يُتْرَكُوا مِـنْ أَنْ يُسْـأَلُوا قَالُـوا: يَـا رَبِّ نُرِيـدُ أَنْ تَـرُدَّ أَرْوَاحَنَـا فِي أَجْسَـادِنَا حَتَّـى نُقْتَـلَ فِي سَـبِيلِكَ مَـرَّةً أُخْرَى. فَلَـمَّا رَأَى أَنْ لَيْـسَ لَهُـمْ حَاجَةٌ تُرِكُـوا)[1].

يُبْعَث الشهيدُ يوم القيامة وريحُ دمه ريحُ المسك:

عـن أبي هريـرة ﷺ أن رسـول الله ﷺ قـال: (وَالَّـذِي نَفْـسِي بِيَـدِهِ لَا يُكْلَـمُ أَحَـدٌ فِي سَـبِيلِ الله -وَالله أَعْلَـمُ بِمَـنْ يُكْلَـمُ فِي سَـبِيلِهِ- إِلَّا جَـاءَ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ وَاللَّـوْنُ لَـوْنُ الدَّمِ وَالرِّيـحُ رِيـحُ الْمِسْـكِ)[2].

(١) أخرجه مسـلم في كتاب الإمارة - باب: أن أرواح الشـهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، حديث رقم ٣٥٠٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: من يجرح في سبيل الله ﷻ، حديث٢٨٠٣، ومسلم في كتاب الإمارة، باب: فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، حديث ١٨٧٦.

اختصاص الشهداء بخصال لا توجد مجتمعة لأحد غير الشهيد:

هناك خصال لا توجد مجتمعة لأحد غير الشهيد، فعَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (لِلشَّهِيدِ عِنْدَ الله سبع خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنْ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنْ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ)[1].

الشهيد أول من يدخل الجنة مع الأولين ويدخلونها بلا حساب:

عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلاَثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: شَهِيدٌ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ، وَعَبْدٌ أَحْسَنَ عِبَادَةَ الله وَنَصَحَ لِمَوَالِيهِ)[2].

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: أبواب فضائل الجهاد، باب: في ثواب الشهيد، حديث١٦٦٠.
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الزكاة، باب: ثلاثة يدخلون الجنة، وأول ثلاثة يدخلون النار، حديث ٥٧٣ (٢/ ١٤).

مِنْ فَضَائِلِ الشُّهَدَاءِ وَمَنَاقِبِهُمْ: أَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ:

إن شهداء الوطن ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران، الآيات ١٦٩ - ١٧١] فَقَدْ أَخْبَرَ -تَعَالَى- عَنِ الشُّهَدَاءِ بِأَنَّهُمْ وَإِنْ قُتِلُوا فِي هَذِهِ الدَّارِ فَإِنَّ أَرْوَاحَهُمْ حَيَّةٌ مَرْزُوقَةٌ فِي دَارِ الْقَرَارِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، والله ﷻ ينهانا عن وصف هؤلاء الشهداء بأنهم أموات، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[سورة البقرة، الآية١٥٤].

يُبَدِّل الله أحوالهم إلى أحسن الأحوال وأهنئها:

فعن أنس ﷺ: (أَنَّ رَجُلًا أَسْوَدَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، إِنِّي رَجُلٌ أَسْوَدُ مُنْتِنُ الرِّيحِ، قَبِيحُ الْوَجْهِ، لَا مَالَ لِي، فَإِنْ أَنَا قَاتَلْتُ هَؤُلَاءِ حَتَّى أُقْتَلَ، فَأَيْنَ أَنَا؟

قَالَ: «فِي الْجَنَّةِ» فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «قَدْ بَيَّضَ اللهُ وَجْهَكَ، وَطَيَّبَ رِيحَكَ، وَأَكْثَرَ مَالَكَ» وَقَالَ لِهَذَا أَوْ لِغَيْرِهِ: «لَقَدْ رَأَيْتُ زَوْجَتَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، نَازَعَتْهُ جُبَّةً لَهُ مِنْ صُوفٍ، تَدْخُلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جُبَّتِهِ)[1].

الشهادة أفضل ما يؤتيه الله لعباده الصالحين:

تُعَدُّ الشهادة أفضل ما يؤتيه الله لعباده الصالحين، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: (أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَ حِينَ انْتَهَى إِلَى الصَّفِّ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَفْضَلَ مَا تُؤْتِي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ. فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ الصَّلاة، قَالَ: «مَنِ الْمُتَكَلِّمُ آنِفًا؟». قَالَ الرَّجُلُ: أَنَا يَا رَسُولَ الله. قَالَ: إِذاً يُعْقَرُ جَوَادُكَ، وَتُسْتَشْهَدُ فِي سَبِيلِ الله تَعَالَى)[2].

الشهداء يحبهم الله ويضحك لهم:

الشهيد يحبه الله تعالى، ويضحك له ربه، ويستبشر به، ولا حساب عليه: عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ١٠٣)، والبيهقي في شعب الإيمان.
(٢) رواه النسائي في السُّنن الكبرى، كتاب: عمل اليوم والليلة، باب: ما يقول إذا ما انتهى إلى الصف، حديث ٨٦٥٨.

قال: (ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللهُ وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ وَيَسْتَبْشِرُ بِهِمُ: الَّذِي إِذَا انْكَشَفَتْ فِئَةٌ قَاتَلَ وَرَاءَهَا بِنَفْسِهِ للهِ تَعَالَى، فَإِمَّا أَنْ يُقْتَلَ، وَإِمَّا أَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ وَيَكْفِيَهُ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا، كَيْفَ صَبَرَ لِي بِنَفْسِهِ!؟)[1].

فشهداء الأوطان هم من أدوا ما عليهم، وافتدوا وطنهم بأرواحهم الطاهرة، وصانوا ترابه بدمائهم الزكية، وأثبتوا أن حب الدين والوطن أغلى من الدنيا وما فيها، وأصبحوا قدوة حسنة لمن بعدهم، فهم مصابيح تضيء للأجيال طريق البذل والعطاء، وتجسد لهم عظمة التضحية وروعة الفداء، ولله در القائل:

يجود بالنفس إن ضن الجواد بها

والجود بالنفس أقصى غاية الجود

* * *

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث ٦٨ (١/ ٢١٠)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٥٥): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ.

مختـارات من الشـعر الـوطـني(*)

* يقـول حافـظ إبراهيـم في قصيدته الرائعـة «مصر تتحدث عن نفسـها»:

وَقَـفَ الخَلقُ يَنظُرونَ جَميعـا كَيفَ أَبني قَواعِدَ المَجـدِ وَحدي
وَبُناةُ الأَهرامِ في سالِفِ الدَهـرِ كفَونـي الكَـلامَ عِندَ التَحَـدّيَ
أَنا تـاجُ العَلاءِ في مَفرِقِ الشَرقِ وَدُرّاتُـهُ فَـرائِـدُ عِقـــدي
أَنـا إِن قَـــدَّرَ الإِلَـهُ مَماتـي لا تَرى الشَرقَ يَرفَعُ الرَأسَ بَعدي
مـا رَمانـي رامٍ وَراحَ سَليمًا مِـن قَديمٍ عِنـايَـةُ اللَهُ جُنـدي
كَم بَغَت دَولَـةٌ عَلَـيَّ وَجارَت ثُمَّ زالَت وَتِلكَ عُقبـى التَعَـدّي
إِنَّنـي حُـرَّةٌ كَسَرتُ قُيـودي رَغمَ رُقبـى العِدا وَقَطَّعتُ قِدّي
إِنَّ مَجدي في الأَولَياتِ عَريـقٌ مَن لَـهُ مِثـلَ أَولَياتي وَمَجدي

(*) مختارات من الشعر الوطني، اختارها معالي أ. د. محمد مختار جمعة (وزير الأوقاف).

أَتُرانـي وَقَـد طَـوَيـتُ حَياتـي في مِراسٍ لَم أَبلُغِ اليَومَ رُشدي
أَمِنَ العَدلِ أَنَّهُم يَـرِدونَ الماءَ صَـفـوًا وَأَن يُكَـدَّرَ وِردي
أَمِنَ الحَقِّ أَنَّهُم يُطلِقونَ الأُسدَ مِنهُـم وَأَن تُقَيَّـدَ أُسدي
نَظَـرَ اللَهُ لي فَأَرشَـدَ أَبنائي فَشَـدّوا إِلى العُلا أَيَّ شَـدِّ
إِنَّما الحَقُّ قُوَّةٌ مِن قُوى الدَيانِ أَمضى مِـن كُلِّ أَبيَضَ هِنـدي
قَـد وَعَـدتُ العُلا بِكُـلِّ أَبِـيٍّ مِن رِجالي فَأَنجِزوا اليَومَ وَعدي
وَارفَعوا دَولَتي عَلى العِلمِ وَالأَخلاقِ فَالعِلـمُ وَحـدَهُ لَيـسَ يُجـدي
نَحنُ نَجتازُ مَوقِفاً تَعثُـرُ الآراءُ فيـهِ وَعَثـرَةُ الـرَأيِ تُـردي
فَقِفوا فيهِ وَقفَـةَ الحَزمِ وَارموا جانِبَيـهِ بِعَزمَـةِ المُستَعِـدِّ

* ويقول في قصيدة له بعنوان «كم ذا يكابد عاشق ويعاني»:

كَم ذا يُكابِـدُ عـاشِقٌ وَيُـلاقي في حُـبِّ مِصرَ كَثيـرَةِ العُشّاقِ
إِنّي لَأَحمِـلُ في هَواكِ صَبـابَةً يا مِصرُ قَد خَرَجَت عَنِ الأَطواقِ
لَهفي عَلَيكِ مَتـى أَراكِ طَليقَـةً يَحمي كَريمَ حِمـاكِ شَعبٌ راقي

كَلِــفٌ بِمَحمـودِ الخِـلالِ مُتَيَّــمٌ بِالبَـذلِ بَينَ يَدَيــكِ وَالإِنفــاقِ

إِنّــي لَتُطـرِبُني الخِـلالُ كَريمَةً طَــرَبَ الغَريـبِ بِأَوبَــةٍ وَتَلاقي

وَتَهُزُّني ذِكرى المُروءَةِ وَالنَدى بَينَ الشَمــائِلِ هِـزَّةَ المُشتــاقِ

ما البــابِلِيَّةُ فــي صَفاءِ مِزاجِها وَالشَـربُ بَــينَ تَنافُــسٍ وَسِباقِ

وَالشَمسُ تَبدو في الكُئوسِ وَتَختَفي وَالبَـدرُ يُشرِقُ مِن جَبينِ الساقي

بِأَلَــذَّ مِن خُلُــقٍ كَريــمٍ طاهِــرٍ قَد مازَجَــتهُ سَــلامَــةُ الأَذواقِ

فَــإِذا رُزِقــتَ خَليــقَةً مَحمودَةً فَقَــدِ اِصطَــفاكَ مُقَسِّــمُ الأَرزاقِ

فَالنــاسُ هَــذا حَظُّــهُ مــالٌ وَذا عِلــمٌ وَذاكَ مَكــارِمُ الأَخــلاقِ

وَالمــالُ إِن لَــم تَدَّخِرهُ مُحَصَّناً بِالعِلــمِ كــانَ نِهــايَةَ الإِمــلاقِ

وَالعِلــمُ إِن لَــم تَكتَنِــفهُ شَمــائِلٌ تُعليــهِ كــانَ مَطِيَّــةَ الإِخــفاقِ

لا تَحسَبَنَّ العِلــمَ يَنفَــعُ وَحدَهُ مــا لَــم يُتَــوَّج رَبُّــهُ بِخَــلاقِ

* * *

* ويقـول أحمـد محـرم في قصيـدة لـه بعنـوان: «مـن يسـعد الأوطـان غـير بنيهـا»:

من يُسعـدُ الأوطـانَ غيرَ بَنِيهَا ... ويُنيلُـها الآمـالَ غَيـر ذَوِيـــها

ليس الكريمُ بمن يَرى أوطـانَـه ... نهـب العــوادي ثم لا يحمــيها

ترجـو بنجدتـه انقضـاء شقائها ... وهـو الـذي بقعـوده يشقيــها

وَتَـود جَاهــدةً بـه دَفْـع الأَذَى ... عن نفسها وهــو الـذي يُؤْذِيها

سُبُــل المكَــارِم للْكـرَام قَوِيمة ... فَعَــلام يُخْطِئُــهَا الـذي يَبْغيـها

مـا أَكْثَــرَ المتَفَاخِرين وإنَّــما ... فَخْـرُ الكـرام بمَـا حَبَتْ أَيْدِيها

يَحْـوِي الكريمُ المالِ لا يبغي بهِ ... شَيْئاًسِـوَى أكرومــةٍ يَحْويــها

والجُود يُحْمَدُ حيث كان وَخيْرُهُ ... مَانَــال أوطـان الفَتَــى وَبنيهَــا

وَلَقَلَّمـا أَرضىَ امـرؤٌ أوطـانَـه ... حَتَــى تَـرَاهُ بِنَفْسـهِ يَفْدِيهَــا

يَــا آل مِصـرَ وَمَـا يُـوَدِّي حَقَّهاَ ... إلاَ فَتَــىً يَكْفِـي اِلــذي يعنيهَا

أَيَضنٌ منكُم بالمَعُـوَنة مُوسِــرٌ ... يَلْهُو ويمـرحُ كـلّ آنٍ فِيهَــا

هِي أُمكم لا كَــان مِــن أَبْنائِها ... مَــنْ لاَ يُواسِيـهـا وَلا يُرْضِيــهَـا

وَهَبْكمُ الخَيْرَ الجَزِيـلَ فَهَلْ فَتَىً ... مِنكُـمْ بِحُسْـنِ صَنِيعِـهَا يَجزِيـهَا

* ويقول في قصيدة له بعنوان «فداؤك نفسي من لواءٍ محببٍ»:

وما منـــعَ الأوطانَ إلا حماتُها وذادتها من ذي شبابٍ وأشيب
همو ذخرها المرجوّ في كل حادثٍ وعُدتُها في كل يومٍ عصبصب
سلامٌ عليهم من كهُولٍ وفتيةٍ وبورك فيهم من شُهودٍ وغيب

* ويقول في قصيدة له بعنوان «ركد الرجاء فما يهزك مأرب»:

مصرُ الحياة وحبَّها الشرفُ الذي بِطُرازِه العالي أَدلُّ وأَعْجَب
نفسي وما ملكت يَداي لأُمتي وَسراةُ آبائي وَمن أَنا مُنْجِب
ابنـــي إنـك للبلاد وإنـــها لك بعد والدك التراث الطيب

* * *

* ويقول إسماعيل صبري في قصيدة له بعنوان «التغني بعظمة مصر»:

لا تَقرَبوا النيلَ إن لم تَعمَلوا عملاً فَماؤهُ العذبُ لم يُخلق لِكَسلانِ
وَابنوا كما بَنتِ الأَجيالُ قَبلَكمُ لا تَترُكوا بعدَكم فخرًا لإنسانِ
لا تَترُكوا مُستَحيلاً في إستِحالتِهِ حتّى يُميطَ لكُم عن وجهِهِ إمكانِ
يَبنونَ ما تَقِفُ الأَجيالُ حائِرَةً أمامَه بين إعجابٍ وَإذعانِ

من كُلِّ ما لَم يَلِد فكرٌ وَلا فُتِحَت على نَظائِرِهِ في الكَونِ عَينانِ
وَيُشبِهونَ إذا طاروا إلى عملٍ جِنًّا تَطيرُ بِأَمرٍ من سُلَيمانِ
جاءَت إِلَيها وُفودُ الأَرضِ قاطِبةً تَسعى اشتِياقًا إلى ما خلَّدَ الفاني
فَصَغَّرت كلَّ موجودٍ ضَخامَتُها وَغضَّ بُنيانُها من كلِّ بُنيانِ
وعادَ مُنكِرُ فَضلِ القَومِ مُعتَرِفًا يُثني على القَومِ في سِرٍّ وَإعلانِ
تِلكَ الهَياكِلُ في الأَمصارِ شاهِدَةً بِأَنَّهُم أَهلُ سَبقٍ أَهلُ إمعانِ
وَأَنَّ فِرعَونَ في حولٍ وَمَقدِرَةٍ وَقومَ فِرعَونَ في الإقدامِ كُفوَانِ
إذا أقامَ عَلَيهِم شاهِداً حجرٌ في هَيَلٍ قامَتِ الأُخرى بِبُرهانِ

* * *

* ويقول أحمد الكاشف في قصيدة له بعنوان «شرًّا يرى الناس أم خيرًا يلاقونا»:

من لم يرَ اليومَ في العُمرانِ موضعَه لم يلقَ في غَدِه دُنيا ولا دِينا
ونحنُ أولَى بأن نَرعَى مواطِنَنَا نُوفي المكَاييلَ فيهَا والموازِينا

* * *

* ويقـول أحمـد شـوقي في قصيـدة لـه بعنـوان «بنـي مـصر مكانكمُـو تهَيَّـا»:

بنـــي مصرَ مكانكمُـو تهـــيَّا ... فَهَيَّـــا مَهـدُوا للمُلـكِ هيـــَّا
خـذوا شمسَ النهـارِ لـه حُليَّا ... أَلم تَـكُ تـاجَ أَوّلِكـم مَليَّا ؟!
لنـــا وطـــنٌ بأَنفسِنا نَقـيه ... وبالدُّنيا العريضـــةِ نَفتـديه
إذا مـا سيـــلَتِ الأرواحُ فـــيه ... بذلنـــاها كـــأنْ لـــم نـعطِ شيَّا
لنا الهـرَمُ الـذي صحِبَ الزمانا ... ومـــن حَـــدَثانِه أَخـــذَ الأَمانا
ونحنُ بنو السَّنـا العـالي نمـانـا ... أَوائـلُ عَلَّـموا الأُمَـمَ الرُّقِـيَّا
تطـــاولَ عهـــدهمْ عزًّا وفخرًا ... فلمـــا آل للتـاريـــخِ ذُخْـــرا
نشأنا نشـــأةً في المجدِ أخرى ... جَعَلنا الحـقَّ مَظْهـرَها العَلِـيّا
جعلنا مِصْـرَ مِلَّـــةَ ذي الجَلالِ ... وألفـنا الصلـيبَ على الهلالِ
وأقبلـــنا كصفٍّ مـــن عـــوالِ ... يشـــدُّ السَّمْـهَرِيُّ السَّمْهَـرِيّا
نـــرومُ لمصرَ عـــزًّا لا يـــرامُ ... يرفُّ عـلى جـوانـــبه السَّـلامُ
وينعَـمُ فيـه جيـــرانٌ كِـــرامُ ... فلـــن تجـــدَ النَّزيـــلَ بنـا شقيًّا
نقـــومُ علـــى البنـايةِ محسنـينا ... ونعهَـدُ بالتَّمـامِ إلـــى بنيـــنا
إليْكِ نَموتُ ـ مِصْرُ ـ كما حَيينا ... ويبقى وجهـــكِ المـــفديُّ حيَّا

* ويقول في إحدى وطنياته:

بِـــلادٌ مـاتَ فِتيَتُهـا لِتَحـــيا وَزالـوا دونَ قَومِهِمُ لِيَبقـوا
وَقَفتُمْ بَيـــنَ مَـــوتٍ أَو حَياةٍ فَإِن رُمتُمْ نَعيمَ الدَهـرِ فَاشْقَوا
وَلِلأَوطـــانِ فـي دَمِ كُـلِّ حُرٍّ يَـدٌ سَلَفَـت وَديـــنٌ مُستَحِـقُّ
وَمَن يَسقـى وَيَشـرَبُ بِالمَنـايا إِذا الأَحرارُ لَم يُسقـوا وَيَسقوا
وَلا يَبـــني المَمـالِكَ كَالضَحايا وَلا يُدني الحُقـــوقَ وَلا يُحِـــقُّ
فَفي القَتـــلى لِأَجيـــالٍ حَيـــاةٌ وَفي الأَسرى فِدًى لَهُمُ وَعِتقُ
وَلِلحُرِّيَّـــةِ الحَمـراءِ بـــابٌ بِكُـــلِّ يَـدٍ مُضَـرَّجَـــةٍ يُـدَقُّ

* ويقـول في قصيدة له بعنوان «اِختِلافُ النَهارِ وَاللَيلِ يُنسي»:

اِختِـلافُ النَهارِ وَاللَيلِ يُنسي أُذكُرا لِيَ الصِبا وَأَيّـــامَ أُنسي
وَصِفـا لـي مُـلاوَةً مِـن شَبابٍ صُوِّرَت مِـن تَصَوُّراتٍ وَمَسِّ
عصفتْ كالصَّبا اللعوبِ ومرّت سِنةً حُلـوةً، ولـــذَّةُ خَلْـس
وسلا مصرَ: هل سلا القلبُ عنها أَو أَسا جُرحَه الزمان المؤسّي؟
كلمـــا مـرّت الليـــالي عليـه رقَّ، والعهدُ في الليالي تقسّي
مُستَطـــارٌ إذا البـــواخِرُ رنَّـــتْ أَولَ الليلِ، أَو عَوَتْ بعد جَرْس
راهبٌ في الضلوع للسفنِ فَطن كلمـــا ثُـــرْنَ شاعَهـن بنَقـــسْ

يا ابنةَ اليـمِّ، مـا أبوكِ بخـيلٌ ... مـا لـه مولَعًا بمنـعٍ وحبس؟
أَحـرامٌ عَلـى بَـلابِلِهِ الدَوحُ ... حَـلالٌ لِلطَيـــرِ مِن كُلِّ جِنسِ
كُـلُّ دارٍ أَحَـــقُّ بِـالأَهـــلِ إِلّا ... فـي خَبيثٍ مِـنَ المَذاهِبِ رِجسِ
نَفسـي مِرجَـلٌ وَقَلبـي شِراعٌ ... بِهِما في الدُموعِ سيري وَأَرسـي
وَاِجعَلي وَجهَكِ الفَنارَ وَمَجراكِ ... يَـدَ الثَـغرِ بَـينَ رَمـلٍ وَمَكـسِ
وَطَـني لَـو شُغِلتُ بِالخُلدِ عَنـــهُ ... نازَعَتني إِلَيهِ فـي الخُلدِ نَفسـي
وَهَفـــا بِالفُؤادِ فـي سَلسَبـيلٍ ... ظَمَأٌ لِلسَوادِ مِـن عَيـــنِ شَمَـسِ
شَهِـدَ اللَهُ لَم يَغِـب عَن جُفـوني ... شَخصُهُ ساعَةً وَلَـم يَخلُ حِسّي

وفيها يقول:

وَكَأَنَّ الأَهرامَ ميـزانُ فِرعَـونَ ... بِيَـومٍ عَلـى الجَبـــابِرِ نَحـسِ
أَو قَناطيـــــرُهُ تَأَنَّـــقَ فيـها ... أَلـفُ جابٍ وَأَلفُ صاحِبِ مَكسِ
رَوعَـةٌ في الضُحى مَلاعِبُ جِنٍّ ... حينَ يَغشى الدُجى حِماها وَيُغسي
وَرَهيـــنُ الرِمـــالِ أَفطَـسُ إِلّا ... أَنَّـــهُ صُنعُ جِنَّـةٍ غَـيرُ فُطـسِ
تَتَجَلّـى حَقيقَـــةُ النـاسِ فيـــهِ ... سَبُعُ الخَلقِ فـي أَساريـرِ إِنسي
لَعِـــبَ الدَهـــرُ فـي ثَراهُ صَبِيًّا ... وَاللَيالـي كَواعِبًا غَيـــرَ عُنـسِ

* * *

* ويقـول في قصيدة لـه بعنوان «قبرَ الوزيرِ، تحيَّةً وسَـلامًا»:

أَعَهِدْتَنـا والقِبْـطَ إلاَّ أُمّـةً ... للأَرض واحدة تَـروم مَـراما؟

نعلي تعاليمَ المسيـحِ لأجلهـم ... ويوقِّـرون لأجلنا الإسـلامَـا

الدِّيـنُ للدَّيّانِ جـلَّ جلالُـه ... لـو شاءَ ربُّـكَ وَحَّـدَ الأَقواما

يا قومُ بانَ الرُّشدُ فاقْصُوا ما جرى ... وخُذوا الحقيقةَ وانبذوا الأَوهاما

هذي ربوعكمُ وتلـك ربـوعنـا ... مُتقابلـيـن نعالـج الأَيـاما

هـذي قبـوركـمُ وتلك قبورنا ... مُتجاوريـنَ جَماجمًا وعِظامًا

فبحُرمةِ المَوْتَى وواجبِ حقِّهم ... عيشوا كما يقضي الجوارُ كرامًا

* * *

* ويقـول أحمـد نسـيم في قصيـدة لـه بعنـوان «أقبـاط مصر ومسـلموها ضمهم»:

أقباطُ مصرَ ومسلمُوها ضمَّهُم ... دينُ المسيحِ وشِرعـةُ الإسلامِ

الناشئـون على الطهارة والتُّقى ... والقائِمُـون بمَصرَ خيـرَ قيـام

والخالدون إلى السكينـة كُلَّمـا ... جـاء الزمانُ بِشِـدة وعـرام

بـــرِح الخفـاء وبـان أنَّـــا أمـــة لـم تبـغ غيـر محبـــة ووئـام
إنَّـا لنـرجـــو أن نعيش بغبطة توحي الســـلام وتنتهـي بسلام

* * *

* ويقول محبوب الخوري:

قالوا تُحبُّ العُربَ قلت: أُحِبُّهُـم يقضـــي الجِوارُ عليَّ والأرحامُ
قالوا: لقد بَخِلوا عليكَ أَجَبْتُهـم أَهْلِـــي وإن بَخِـلوا علَـــيَّ كِرامُ
قالـــوا الدِّيانةَ قلت: جيـلٌ زائـلٌ وتزولُ معـهُ حـزازةٌ وخصـــام
ومحمـدٌ بطـــلُ البريّـــة كلِّهـا هـو للأعـــاربِ أجمعـينَ إِمـامٌ

* * *

* ويقول رشيد سليم الخوري:

بِنْـــتَ العُرُوبَـةِ هَيِّئِـــي كَفَنِـــي أَنَا عَـائِدٌ لأَمُـــوتَ فِـــي وَطَنِـــي

* * *

الموضوع

المقدمة	٥
حقوق المواطنة والتعايش السلمي	٩
احترام النظام العام	٢٧
الحفاظ على المال العام	٤١
دعم المنتج الوطني	٥٣
مواجهة الشائعات	٦٥
فضل الشهادة في سبيل الوطن	٨٥
مختارات من الشعر الوطني	٩٩

الهيئة المصرية العامة للكتاب

المشرف على المشروعات الثقافية

مروان حماد

تصميم الغلاف

محمد البغدادي

متابعة

فريال فؤاد

المراجعة اللغوية

د.حسن أحمد خليل

سيد عبد المنعم

الإخراج الفني

أحمد طه محمود

رقم الإيداع بدار الكتب ٥١٧٦/ ٢٠٢١

ISBN 978-977-91-3069-9